وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند اولحاج-البويرة-
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية (شعبة التاريخ)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط
(الإسلامي) موسومة ب:

الحياة الاجتماعية في المغرب والأندلس في عهد الموحدين من 541ه-667ه/1126م-1268م

إعداد الطالبان:
ناصر بلميلود
كريم دمدوم

إشراف الأستاذ:
سعيد زهار

السنة الجامعية 1435-1436ه/2014-2015م

شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

<< وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله و المؤمنون >>.

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات و بعونه تم انجاز هذا العمل.

بهذه المناسبة لا يسعنا إلا أن نتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا في انجاز هذه المذكرة و نخص بالذكر الأستاذ المشرف زهار سعيد الذي خصنا بنصائح وتوجيهات قيمة طوال مرحلة العمل.

كما نتقدم بشكرنا الخالص إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد.

آمين.

الإهداء

إلى الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما

إلى أسرتي

إلى كل الزملاء

إلى كل طالب علم وباحث اهدي ثمرة هذا العمل

خاص بالطالب :بلميلود ناصر

الإهداء

إلى اعز ما لدي في الوجود:أمي وأبي

وأختي الغالية

ادعوا الله أن يحفظهما لي

إلى كل أصدقائي الذين تقاسموا معي هذا العمل.

خاص بالطالب:دمدوم كريم

مقدمة

مقدمـــــــــــــة

كان لقيام دولة الموحدين دورا كبيرا وأثرا بالغا لأهميته في المغرب عامة والأندلس خاصة، لاسيما تلك البصمات التي تركتها على صفحات تاريخ المغرب واستطاعت أن تشكل كيانا اجتماعيا قويا رغم اختلاف العناصر البشرية المكونة للمجتمع الموحدي.

ورغبة منا في التعرف على الواقع الاجتماعي الذي عاشته في ضله تلك العناصر المكونة لهذا المجتمع، وسنحاول إعطاء صورة ولو بسيطة للقارئ حتى تتكون لديه فكرة عنه.

وقد تم اختيارنا لموضوع الحياة الاجتماعية في المغرب والأندلس(الغرب الإسلامي) في عهد الموحدين عنوانا لبحثنا هذا ، وذلك رغبة منا في دراسة المجتمع الموحدي، فهو موضوع يثير الاهتمام خاصة أن البحوث السابقة ركزت في مجملها على الجوانب السياسية والفكرية والاقتصادية مهملة الجانب الاجتماعي(أي يعتبر انعكاسا للجوانب أنفة الذكر).

و الإشكال الذي نطرحه حول هذا الموضوع ، هو الوقوف على مدى مساهمة المجتمع الموحدي في بناء دولة مترامية الأطراف.

وللإجابة على هذه الإشكالية سنحاول معالجة التساؤلات التالية:

ماهي أهم المراحل التي مهدت لتأسيس هذه الدولة ؟,وما سيمات وخصائص المجتمع الموحدي، وما أهم الطبقات المكونة له ؟،وما العادات والتقاليد التي ميزت المجتمع الموحدي ؟، وما أهم انجازات خلفاء الموحدين في مجال العمران؟

وللإجابة على هذه الإشكالية سنقسم بحثنا هذا إلى خمسة فصول،حيث ستناول في الفصل الأول نبذة تاريخية عن الدولة الموحدية مستظهرا بذلك مراحل قيامها إلى غاية مرحلة الضعف وسقوطها.

ثم سننتقل إلى الفصل الثاني حيث سنتطرق إلى العناصر المكونة للمجتمع ،المتمثلان في البربر والعرب، ويعتبران عنصران أساسيان في التشكيلة الاجتماعية،إضافة إلى العناصر الأخرى كالأقليات وأهل الذمة.

وفي الفصل الثالث سنتحدث على الطبقات الاجتماعية،اذ سنقسم المجتمع الموحدي إلى عدة طبقات اجتماعية متباينة فيما بينها والمتمثلة في الطبقة الحاكمة وهي الطبقة العليا،والطبقة الوسطى والمتمثلة في المتصوفة والعامة،وطبقة أصحاب المهن.

وفي الفصل الرابع سنعالج مظاهر الحياة الاجتماعية التي ميزت المجتمع الموحدي

والتي وضحنا من خلالها العادات والتقاليد التي ميزت المجتمع الموحدي.

أما الفصل الأخير سنشير إلى مدى مساهمة خلفاء الموحدين في مجال العمران

أما في الخاتمة سنوضح أهم النتائج التي توصلنا إليها وسنحاول الإجابة على هذه الإشكالية المطروحة.

كما سنثري بحثنا هذا بمجموعة من الملاحق التي رأينا أنها تخدم الموضوع.

وللإجابة على هذه الإشكالية كان لابد من العودة إلى أبرز المصادر التاريخية والجغرافية المتخصصة في هذه الفترة وسنذكر منها كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر من أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لابن خلدون خاصة الجزء السادس رغم عدم احتوائه على الخرائط ،وكتاب بيان المغرب لابن عذارى المراكشي وهو مهم لدراسة تاريخ المغرب وبالأخص القسم الخاص بالموحدين، وللإدريسي في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق حيث اعتمدنا على الجزء الأول وهو مهم لشرح المصطلحات، وكتاب روض القرطاس لابن أبي زرع الفاسي خاصة الجزء السادس، دون أن ننسى كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير.

لكن هذا لا يعني أننا وضعنا المراجع جانبا، بل سنستفيد منها كثيرا، خاصة في التوسع فيما أشارت إليه المصادر ومنها نذكر الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي لجمال احمد طه، وكتاب مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين لإبراهيم القادري بوتشيش ، وكتاب التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين لحمدي عبد المنعم حسين، دون أن ننسى كتاب التاريخ الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس "عصر المرابطين

والموحدين" لحسن علي حسن وهو مهم جدا لدراسة الحيـــاة الاجتماعيـــة فـــي فترتـــي المرابطين والموحدين.

كما سنعتمد على بعض رسائل الماجستير و الدكتورة منها: رسالة ماجستير لحســين عيسانى تحت عنوان دور الأوقاف الإسلامية وأثرهـــا الاقتصـــادي والاجتمـــاعي فـــي الحضارة الإسلامية، وأطروحة دكتوره لخالدي عبد الحميد بعنوان العلاقات الثقافية بين المشرق والمغرب الأوسط من الفتح إلى نهاية الموحـــدين،كما ســـنعتمد علـــى رســـالة الماجستير لشرقي نوارة بعنوان الحياة الاجتماعية في المغـــرب والأنـــدلس فـــي عهـــد الموحدين.

وما تجدر الإشارة إليه أننا قد تعرضنا خلال بحثنا هذا لعدة صعوبات خاصـــة منهـــا المتعلقة بالمصادر، إذ أننا لم نعثر فيها على ما يلم بموضوعنا هـــذا باســـتثناء بعـــض الإشارات السطحية، زيادة على طبيعة الموضوع الواسع جدا، الذي يتطلب دراسة أعمق ووقت أطول لا يسعها بحثنا هذا، مع عدم تمكننا من الحصول على بعـــض الدراســـات الهامة التي تخدم موضوعنا، خاصة في الفصل الثالث لم نجد ما يكفي مـــن المعلومـــات لتغطيته، ورغم هذه الصعوبات والعوائق إلا أننا بفضل الله وعونه استطعنا إتمـــام هـــذا الموضوع.

الفصل (التمهيدي) الأول: نبذة تاريخية عن الدولة الموحدية

المبحث الأول: مرحلة الدعوة و التأسيس.

المبحث الثاني: مرحلة التطور والازدهار.

المبحث الثالث: مرحلة السقوط والانحلال .

1) مرحلة الدعوة والتأسيس:

ظهرت الدولة الموحدية بالمغرب على يد "محمد بن تومرت"،« المكني بابن عبد الله والملقب بالمهدي والمعروف عند بعض المؤرخين بالفقيه السوسي، حيث ولد بقرية تسمى " إيجلى" بمنطقة السوس جنوب المغرب الأقصى، وقد اضطربت الروايات في تاريخ ميلاده والأرجح بعد المقارنة بين تلك الروايات أنه ولد سنة 473ه، ويعود نسبه إلى"علي بن أبي طالب وفاطمة " »[1]، ويؤيد هذا الرأي " المستشرق روجي لوتورنو" عندما يقرر أن النسابين قد أثبتوا أصل نسب " إبن تومرت " بأسرة النبي صلى الله عليه وسلم [2].

وقد تلقى المهدي علومه بالحواضر المغربية *كسبتة، ومراكش [3]، ثم انتقل إلى الشرق في طلب العلم سنة 501ه/1107م، حيث بدأ رحلته من الأندلس، وقد نزل بالإسكندرية، وأخذ فيها عن الفقيه ابن بكر *الطرطوشي وحضر مجلسه، وعمل على التحريض على المرابطين ودعا إلى قتالهم ومحاربتهم [4].

---

(1) عبد المجيد النجار: تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فيرجينيا، ط1، 1995، ص56-57.

(2) حسين عيساني، دور الأوقاف الإسلامية وأثرها الاقتصادي والاجتماعي في الحضارة الإسلامية، عهد المرابطين والموحدين (448-668ه) (1056-1269م)، رسالة ماجستير، العلوم الإسلامية السنة الجامعية 2011-2012، ص88

(3) علي عبد الله علام: دعوة الموحدين في المغرب، دار المعرفة، الرباط، المغرب، د ط،1964 م،ص123.

(4) محمد أحمد أبوا الفضل: شرق الأندلس في العصر الإسلامي (515-686م) دراسة في التاريخ السياسي و الحضاري، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، د ط، 1996 م، ص 53.

*إبن بكر الطرطوشي: هو الفقيه أبوبكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف إبن سليمان بن أيوب الفهري الطرطوشي الأندلسي، ولد في بلدة طرطوشة بالأندلس سنة 451ه، حيث تلقى علومه بمسقط رأسه، ثم رحل الى المشرق سنة 486ه، فحجّ، إستقر به المقام في الاسكندرية، توفي سنة 520ه أو 525ه- أنظر الدكتورة إبتسام مرعي خلف الله: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الاسلامي 524ه/936ه/1130-1529م، جامعة الاسكندرية ، د ط،1985 ص49.

*سبتة: مدينة مشهورة من قواعد بلاد المغرب على ساحل البحر، وهي مقابلة للجزيرة الخضراء- أنظر الإدريسي: نزهة المشتاق في إختراق الافاق، تحقيق الحج صادق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1983، ج1، ص 649.

ثم اتجه إلى مكة وأدى بها مناسك الحج، وخرج منها إلى بغداد أين التقى فيها بالإمام أبي حامد الغزالي وأخذ العلم عنه، ثم عاد إلى المغرب مشيعا بأفكار الغزالي، حيث لقي في بلاد المغرب موطنا خصبا مما ساعد على نشر أفكاره بين أهله، وتأثروا بها منهم" المهدي بن تومرت " [1].

كما قد نزل في طريق عودته بالإسكندرية ثم طرابلس، حيث مارس دعوته القاضية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأشتكي الناس منه، وهذا ما أدى إلى طرده، ليتجه إلى حاضرة بني حماد الصنهاجيين ببجاية وفيها نهى الرجال عن التزين بزي النساء، وحثّ على عدم اختلاط النساء بالرجال في الصلاة، وفي هذا الصدد يروى أمير بجاية " العزيز المنصور بن الناصر " بن عماد سنة 511ه لما رآه يفرقهم بعصاه قال له " يافقيه لا تأمر السرقة بالأمر بالمعروف وهم لا يعرفونه، فإني أخاف أن يأمروا فيك وتهلكهم، لا يستوي حر كريم مع شيطان رجيم " [2]، وبهذا تحول أسلوبه في الدعوة إلى استعمال العنف في تغيير المنكر، مما أدى به إلى طرده، فخرج إلى ملالة و بقي بها مدة من الزمن وبها التقى " بعبد المؤمن بن علي " « ذلك هو عبد المؤمن بن علي الكومي، خليفة المهدي »[3].

ويجمع المؤرخون أن لقاء " المهدي بن تومرت " بعبد المؤمن بن علي كان صدفة، حيث كان " عبد المؤمن " صحبة عمه يقصدون السفر إلى الشرق، ولما وصلا إلى بجاية و نزلوا بمسجدها وانظم إلى درس المهدي فاقتنع به وبدأت الدعوة الموحدية تظهر في ثوبها العسكري، بعد أن رأى المهدي أن القضاء على حكام المرابطين صار ضرورة دينية وأن دولتهم بدعة وخروج عن الدين، فأمر على جيش الموحدين " عبد المؤمن بن علي " أن

(1) شرقي نوارة: الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين(524 ه-667 ه)(1126 م- 1268 م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر ، 2007-2008، ص17.

(2) ابتسام مرعى خلف الله: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي،524ه-936ه /1130-1529 م جامعة الإسكندرية،د ط،1985، ص 56-57.

(3) حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، جامعة القاهرة، د ط،2004، ص12.

يواجهوا المرابطين وهزموا في معركة البحيرة سنة 524ه /1130م وتوفي " المهدي بن تومرت" ،

في نفس السنة وبويع "عبد المؤمن" ، حيث عمل على تنظيم شؤون الدولة وتوحيد صفوفهم، [1] وبقي بتينملل[2]، إلى سنة 1134/528 م، حيث استولى على الجبال المجاورة له وعلى الحواضر المغربية، وبهذا أسس دولة مترامية الأطراف.

2) مرحلة التطور والازدهار:

بقضاء "عبد المؤمن بن علي" على الجيوب المرابطية عام 543ه/ 1148م دخلت دولته في عهد ازدهارها فاتسمت بالتوسع والعمران والرفاه المادي والنهوض الفكري وشملت هذه الفترة خلافة "يوسف" و" يعقوب المنصور" وأكثر خلافة الناصر600ه/1162-1213 م [3].

عبر "يوسف الموحدي" إلى الأندلس سنة 528ه وولّي على غرناطة أخوه "عثمان" الذي خرج لقتال المتمرد "سعد بن مردنيش" وتمكن منه سنة 561ه[4].

وكان "ليوسف" فتوحات كثيرة ، فلما عبر الخليج قصد غربي البلاد، فحاصر مدينة *شنترين، وهي للفرنجة شهرا، فأصابه بها مرض، فمات منه في ربيع الأول وحمل في

(1) ابتسام مرعى خلف الله: المرجع السابق،ص58،59.

(2) تينملل: موضع في قلب جبال الأطلس قريب من منابع وادي نفيس الذي يجرى جنوب نهر تنسيفت، هذا الموضوع يسمى تينملل أو تينمال- أنظر إلى حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ،ط1،ج2 ، ص 88.

(3) عز الدين عمر أحمد موسى: تنظيمات الموحدين ونظمهم في المغرب، بيروت، لبنان، د ط، فبراير 1969، ص47.

(4) حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1996م، ج2، ص 110.

*شنترين: تقع على جبال عال ومنها إلى مدينة بطليموس، أنظر الإدريسي، القارة الإفريقية،ص 273، وهي تبعد 67 كيلومتر عن الاشبونة شمالا - انظرا. إلي أبي بكر الصنهاجي المكني بالبيدق المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق عبد الوهاب المنصور، دار المنصور للطباعة و الورق، الرباط ج1،دط، 1971، ص144.

تابوت إلى مدينة اشبيلية من الأندلس سنة 580ه، ومات عن غير وصيّة بالملك لأحد من أولاده، فاتفق رأي الموحدين، وأولاده "عبد المؤمن" على تمليك ولده "أبي يوسف يعقوب"[1].

وفي تلك الفترة استولى" بنو غانية" على بجاية وقلعة بني حماد، مما أثار شكوك الموحدين وجعلهم يخرجون لمحاربة بني غانية وهزموهم إلا أن شوكتهم لم تنكسر.

« وفي هذه الفترة سجّل التاريخ انتصارا كبيرا للموحدين ضد النصارى في معركة الأرك سنة 591ه حيث وقعت صبيحة يوم الخميس 11 من رجب سنة 591ه » [2]. وذلك على يد "المنصور" الذي توفي سنة 595ه، ثم خلفه ابنه "الناصر" الذي تمكن من كسر شوكة بني غانية واستيراد ما أخذوه من الأراضي الموحدية [3].

3) مرحلة السقوط والانحلال:

مع مطلع القرن السابع للهجري، دخلت الدولة في دور الانحلال، وذلك بوفاة "يوسف المستنصر"(620ه/1223م)، آخر ضخامة الدولة الموحدية لما أعقبها من نزاع على الخلافة بين أفراد الأسرة مما عصف بدولتهم، وهي نقطة بداية الانحدار من القمة إلى الأسفل، ففترة الخليفة "الناصر" أثبتت فشله في إدارة الدولة المترامية الأطراف بمركزية متحكمة، حيث فشل في الوقوف أمام النصارى في إسبانيا يوم العقاب (609ه/1212م) التي كان فيها هلاك الأندلس [4].

(1) ابن الأثير :الكامل في التاريخ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط4، 2003، ج10، ص 126-127.

(2) إبن العذاري المراكشي: البيان المغربي في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد ابراهيم الكتاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1،1985، ص 212.

(3) شرقي نوارة: المرجع السابق، ص24.

(4) عز الدين عمر أحمد موسى: المرجع السابق ،ص68 .

وبوفاة "الناصر" خلفه ابنه "يوسف" المنتصر سنة إحدى عشرة وستمائة وهو ابن ستة عشر سنة ولقب المستنصر بالله [1].حيث بدأت في عهده الحروب والفتن [2]. ومال للدعة والراحة مهملا بذلك أمور الخلافة والرعية وما زاد الأمور سوءا ظهور المرنيين في عهده[3].

وبعد وفاته انغمست دولته في الانحطاط إذ امتدّ الخلاف داخل الأسرة الحاكمة، وذلك بتصارع أفرادها على السلطة وسيطر الأشياخ والوزراء والولاة على بعض خلفاء الموحدين.

وكان "أبو العباس إدريس الواثق بالله" آخر الخلفاء الموحدين ، الذي قتل سنة 668ه وبموته انقرضت دولة الموحدين بعد أن كانت قد تمكنت من توحيد بلاد المغرب لأول مرة في التاريخ [4].

(1) إبن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ الغرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د ط، 2000، ج6، ص 337.
(2) حسن مؤنس: المرجع السابق، ص 132.
(3) محمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، دار النشر القاهرة، الطبعة الأولى، د ط، 1974 م، القسم الثاني، ص 336.
(4) شرقي نوارة: المرجع السابق، ص 26.

الفصل الثاني:العناصر المكونة للمجتمع

المبحث الأول: البربر.

المطلب الأول: قبائل صنهاجة.

المطلب الثاني: قبائل مصامدة.

المطلب الثالث: بربر الأندلس.

المبحث الثاني: العرب.

المبحث الثالث: الأندلسيون.

المبحث الرابع :عناصر مختلفة.

المطلب الأول: الروم والصقالبة.

المطلب الثاني: الغز.

المبحث الخامس: أهل الذمة.

المطلب الأول: اليهود.

المطلب الثاني: النصارى.

2/ العناصر المكونة للمجتمع:

شهد المسرح الجغرافي للمغرب الأقصى في القرنين الخمس والسادس من الهجرة عناصر متعددة من السكان وجنسيات مختلفة، وفي مقدمة هذه العناصر قبائل البربر وهم السكان الأصليين في البلاد. وعاش معهم العرب الذين لعبوا دورا واضحا في الأحدث وصار لهم دور مؤثر في عهد الموحدين، وبجانب البربر والعرب كانت هناك أقليات من الأندلسيين والصقالبة والغز وأهل الذمة المتمثلة في اليهود والنصارى.

1) البربر: يعتبر عنصر البربر الغالبية العظمى من السكان، ومنهم تأسست أكبر دولتين شهدهما المغرب الأقصى في العصور الوسطى، وهما دولتان المرابطين والموحدين « وقد اختلف المؤرخون حول أصل نسبهم فابن حزم الأندلسي يقول " أنهم من بقايا نوح عليه السلام "، وادعت طائفة أخرى من المؤرخين أنهم ينتسبون إلي بر بن قيس عيلان، وتذكر مصادر أخرى أنهم بن إفريقش بن صيغي الحميري[1].

حيث اتفق النسابة على أن البربر ينقسمون إلي قسمين هما البتر والبرانس فتذكر شرقي نوارة نقلا عن ابن خلدون وغيره " أن شعوب هذا الجيل وبطونهم وقد اتفق العلماء أنه يجمعهم جذمان عظيمان وهما البرنس والابتر [2] الذي كان « فيه عدد من أشجار الزيتون والكروم، وتوجد فيه بساتين كثيرة، وكانوا بيض البشر، ونسائهم جميلات، لكن الرجال جريؤون، لأنهم جنود ممتازون »[3] ، وأما البتر فقد عرفوا ببداوتهم، « كان جدهم الأكبر يسمى ماذغيس الأبتر، وكان إبنه زحيك منه تشعبت بطونهم »[4] .

(1) حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس "عصر المرابطين والموحدين"، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ط1، 1980، ص292.

(2) شرقي نوارة: رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين(524 هـ - 667 هـ)(1126 م - 1268 م)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر، 2007م،2008م،ص28 .

(3) لمارمول كاربخال: إفريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر وآخرون، دار النشر والتوزيع الرباط، د ط، 1988، 1989، الجزء الثاني، ص285.

(4) ابن خلدون: المصدر السابق ،ج 6 ، ص149.

وكلا الفريقين عاشا على أرض المغرب الأقصى متأثرا بالأحداث التي مرت بها المنطقة ومؤثرا فيها فقد قامت قبائل البرانس ومنها صنهاجة ومصمودة بدور مهم في توجيه سير الأحداث القرنين الخامس والسادس من الهجرة، إذ على أكتاف صنهاجة قامة دولة المرابطين وعلى أكتاف المصامدة قامت دولة الموحدين، ومن هنا تبين أهمية تلك القبائل التي شاركت في صنع الأحداث في المنطقة ومن بينها [1].

أ) صنهاجة: تشكل صنهاجة أول إقليم مأهول غرب صحاري ليبيا، لأنه يبتدئ عند شواطئ المحيط ويشمل كل المساحة الممتدة بين رأس نون ونهر النيجر، ويسميه العرب واد النجار، ويفصل هذا بين البيض والسود، أي بين مناطق الأعراب ومناطق الزنوج [2].

ولم تكن صنهاجة مجرد قبيلة بل كانت شعبا عظيما، ويقول ابن خلدون « هذه القبيلة من أوفى قبائل البربر، وهم أكثر أهل البربر لهذا العهد وما بعده، لا يكاد قطر من أقطره يخلو من بطن من بطونهم في جيل أو بسيط حتى لقد زعم كثير من الناس أنهم الثلث من أول البربر»[3].

وقد ضمت صنهاجة مجموعة كبيرة من القبائل بلغة السبعين قبيلة منها: قبائل*لمتونة، *كدالة، مسوفة، لمطه، مسراطة وغيرها من القبائل [4].

(1) حسن علي حسن: المرجع السابق، ص294.

(2) لمارمول كاربخال: المرجع السابق، الجزء الثالث، ص179.

(3) ابن خلدون: المصدر السابق،ج 6 ، ص152.

(4) حسن علي حسن:المرجع نفسه، ص295.

*لمتونة: واحدة من قبائل صنهاجة الصحراوية وهي قبيلة يوسف بن تاشفين ولاها نسبة أسرة لمتون، انظر إلي أبي بكر الصنهاجي المكني بالبيدق المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق عبد الوهاب المنصور، دار المنصور للطباعة و الورق، الرباط ،ج1، د ط، 1971، ص22.

*كدالة: تقع على الضفة اليمني لواد أم الربيع ،أنظر أبي بكر الصنهاجي المكني بالبيدق: المصدر السابق،ج2،ص37.

ب)مصمودة: تقع في الجزء الغربي من المغرب الاقصى، ويقطنون جبال الأطلس الكبير[1].

تحتل مركز الصدارة بالمغرب الأقصى باعتبارها القبائل المؤسسة للعهد الجديد وأعتبر ابن خلدون ديارهم وأماكنهم هي حدود المغرب الأقصى وذلك لكثرتهم لمنطقة المغرب الأقصى[2].

يقول حسن علي حسن نقلا عن ابن خلدون« فأما المغرب الأقصى منه وهو ما بين واد ملوية من جهة الشرق إلى أسافي حاضرة البحر المحيط وجبال درن من جهة الغرب فهي في الأغلب ديار المصامدة من أهل درن وبراغوطة »، وأما القبائل التي اندرجت تحت اسم المصامدة فكثيرة منها *هرغة *وهنتاتة و*تينملل وكيدموية وكنفيسة ووريكة وغيرها من القبائل [3].

ج) بربر الأندلس: يرجع تواجد البربر في الأندلس ضمن حملات الفتح الإسلامي للمنطقة ، حيث تمكنت الجماعات الأولى التي دخلت الأندلس من الاندماج في المجتمع الأندلسي [4].

وبعدها جاءت وفود جديدة من البربر إلي الأندلس وكانوا في الغالب من زناتة وصنهاجة، وذلك بطلب من الأندلسيين أنفسهم من اجل مساعدتهم علي رد هجمات النصارى الذين استحوذوا على البلاد، وبعد الانتصار الذي حققه البربر من المرابطين على النصارى، بدأوا بالاستقرار بالمنطقة و نزلوا المدن .

---

(1) لمارمول كاربخال: المراجع السابق، ج1، ص90.

(2) حسن علي حسن: المرجع السابق، ص299.

(3) نفسه، ص 301.

*هرغة: قبيلة مصمودة تقع جنوب واد سوس إلى شرق مدينة رودانة، انظر أبي بكر الصنهاجي المكني بالبيدق، المصدر السابق، ج1، ص 21.

*هنتاتة: هي أكبر قبائل مصمودة في العصر الوسيط، كانت تسكن الجبال الشامخة الواقعة خلف مراكش، انظر أبي بكر الصنهاجي المكني البيدق، نفسه، ج2، ص 33.

* تينملل : اسم مكان لقبيلة، ولكن البيدق ينزله منزلة القبيلة.

(4) شرقي نوارة: المرجع السابق،ص40.

وعند قيام دولة الموحدين لم تتوقف وفور المغاربة المتجهة إلي الأندلس حيث اتبع خلفاء الموحدون سياسة توطين القبائل البربرية ببعض الحواضر الأندلسية " فيوسف بن عبد المؤمن" ترك في شرق الأندلس من كل قبيل، فأسكن زناتة والعرب بلنيسة، وأسكن صنهاجية وهسكورة في شاطبة، وفي سنة 580 هـ، استعاد الموحدون مدينة باجة من أيدي النصارى وأعادوا اليها أهلها، وأسكنوا معها جماعة من الموحدين، وفي سنة 616 هـ أرسلت مجموعة من قبائل كومية إلي الأندلس لتعزيز تواجد البربر بالأندلس [1].

2) العرب: هم العنصر الثاني من سكان المغرب الأقصى والذي شارك البربر في الإقامة بالمنطقة،[2]، حيث لم يكن للعرب تأثير كبير في المغرب الأقصى إلا بعد منتصف القرن 05هـ/11م مع الغزوة الهلالية التي بفضلها انتشر العرب في البوادي والأرياف وتفرقوا في كل مكان فمنهم من قصد المغرب الأقصى، ويوضح عبد الواحد المراكشي أن أكثرهم قصد مدينة فآس وذلك في قوله " كانت القيروان حاضرة المغرب، فلما اضطرب أمرها بحيث العرب فيها فرا منها أهلها ونزل أكثرهم مدينة فاس" [3].

ولما خلص أمر العرب للموحدين عام 541هـ/1146م، ودخل الخلفاء الموحدين في وقائع كثيرة مع العرب الهلالية ، فرأوا أن يستغلوا طبيعتهم و طاقاتهم لمصلحة الدولة ضد أعدائها،

(1) شرقي نوارة : المرجع السابق، ص41.

(2) حسن علي حسن: المرجع السابق ، ص306.

(3) جمال أحمد طه: الحياة الاجتماعية للمغرب الأقصى في العصر الإسلامي، عصر المرابطين والموحدين، دار الوفاء للطباعة والنشر، دار البيضاء، المغرب، ط1، 1987،ص62.

فجلبوا عدد كبيرا من هذه القبائل العربية المغرب الأقصى، حيث أذاع بين الناس أن عبد المؤمن كان نسبه عربيا [1].

وقد ذكر نسبه المراكشي " و عبد المؤمن بن علي الكومي، هذا هو عبد المؤمن بن علي بن تملوي الكومي، أمه حرة كومية أيضا"، واتخذ عبد المؤمن و من جاء بعده هذا النسب وسيلة لاستمالة العرب الموجودين في إفريقيا لاشتراك معهم في عمليات الجهاد بالأندلس.

3) الأندلسيون: إلي جانب البربر و العرب وجدت عناصر أخري سمو بالأندلسيين ويطلق يلفظ "الأندلسيين" على المسلمين من أهل الأندلس باستثناء البربر الطارئين كقّوة سياسية مسيطرة مرابطية كانت أم موحدية، ويصرف النظر عن الأصول الأولى لهذه الجماعة عربية كانت أم بربرية، أم من سكان الأصليين الذين أسلموا فاندمج أحفادهم مع المسلمين، أما العبيد الذين اعتقوا ، فغدوا جزءا من مجتمع أسيادهم الأولين بالولاء [2] .

وترجع النواة الأولى لدخول العرب والبربر إلى الأندلس عند اتساع مدى الفتوحات الإسلامية وذلك بإتمام فتح بلاد المغرب الإسلامي، وكان الانتصار الذي حققه "طارق بن زياد" على القوط هو من ثّبت أقدام المسلمين بالأندلس، وتلت بعد ذلك وفود المسلمين الفاتحين على المنطقة ونتيجة لامتياز الأندلسيون بالعديد من الميزات والخصائص من بينها قدرة الاستيعاب التي امتلكوها الفقهاء الأفاضل، وكان لنبوغهم الفكري وبراعتهم العلمية أثرا في استدعائهم للخلفاء الموحدين ومن سبقهم إلى عواصمهم ومدنهم الكبرى فقربوهم منهم [3] ،

(1) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروضة القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق محمد الهاشمي، الفيلالي، الرباط، د ط،1993، ج6، ص26 .

(2) جمال احمد طه: المرجع السابق، ص 161.

(3) شرقي نوارة: المرجع السابق، ص 56 .

ومن جملة الذين هاجروا إلى بلاد المغرب الكثير من العلماء منهم " أحمد بن خالد المالقي " وهو عالم الطبّ والحكمة والإلهيات [1].

وقد اتسمت حياة الأندلسيون في القرنين " 05 و 06 هـ/ 12 و13 م " بالهجرة إلى بلاد المغرب ويتضح هذا من خلال التراجم العديدة التي وردت في شخصيات مختلفة من المدن الأندلسية التي هاجرت إلى المغرب بقصد الاستيطان، وبلغ عدد هذه الهجرات الاستيطانية قرابة 80 هجرة من مختلف المدن الأندلسية، حيث يذكر جمال احمد طه نقلا عن عبد الواحد المراكشي أنه "لما اضطرب أمر قرطبة رحل منها من كان فيها من العلماء والفضلاء من كل طبقة فرارا من الموت فنزل أكثر في المغرب" [2].

4) عناصر مختلفة:

أ) الروم والصقالبة:

عاشت طائفة منهم بأرض المغرب الأقصى، نتيجة للمعارك التي خاضها الموحدون والمرابطون بالأندلس والتي أسفرت عن الكثير من الأسرى استخدمهم ولّاة الأمر في خدمتهم بالمغرب الأقصى وخاصة بالجيش حتى يستفيدوا من خبرتهم العسكرية [3].

وقد بدأت صلة الروم والصقالبة بالغرب الأقصى كجماعة في أول عهد المرابطين حيث عمد "يوسف بن تاشفين" إلى شراء جماعة منهم بلغت مائتين وخمسين فارس ليكونوا حرسا خاصا له ثم ازدادت أعدادهم بعد ذلك نتيجة للمعارك.

وعند تولي "علي بن يوسف بن تاشفين " الحكم استخدم الروم مما دفع " ابن العذاري إلى القول « وهو أي "علي بن يوسف بن تاشفين" أول من استعمل الروم وأركبهم في المغرب وجعلهم يحقدون على المسلمين، ويأخذون منهم نفقاتهم وأكثر ما يحبّ عليهم » [4].

(1) عثمان الكعاك: موجز التاريخ العام للجزائر، العصر الهجري، إلى الاحتلال الفرنسي،القاهرة، د ط، 1408، ص 206 .

(2) جمال أحمد طه: المرجع السابق، ص 161 .

(3) حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 323 .

(4) ابن العذاري المراكشي: بيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة، إحسان عباس دار الثقافة بيروت لبنان، ط 3، 1983، ج4،ص102 .

ولم يصبح استخدامهم قاصرا على الحراسة بل تعدى إلى وظائف مدنية أخرى كجباية الأموال حيث يقول "ابن الأثير" « وكان لأمير المسلمين أي "علي بن يوسف ابن تاشفين" عدّة كثرة من المماليك والإفرنج والروم يغلب على ألوانهم الشقرة وكانوا يصعدون الجبل في كل مرة ويأخذون مالهم فيه من الأموال المقرّرة من جهة السلطان [1].

وقد دخل الصقالبة في خدمة الخلفاء الموحدين [2]. حيث تنافس الأمراء والملوك على اقتنائهم وملئ بلاطهم بأمثالهم [3]. وهذا نتيجة لاتقانهم ألوان عدة في الأعمال وفنون الأدب والموسيقى والرقص ، دون أن ننسى خبرتهم العسكرية في مجال القتال، حيث أن المنصور الموحدي قام في سنة 586هـ/1190م، بتجهيز جيوشه من إشبيلية إلى قصر " أبي دانس" من غرب الأندلس فنزلوا على حكمه فاحتملهم إلى مراكش وهم ينتمون إلى الروم والصقالبة وغير ذلك من سكان البلاد [4].

ب) الغزّ: وهم من جنس الترك، تقع بلادهم في أقصى المشرق على تخوم الصين [5]،ولقد استعان بهم المرابطون في جيوشهم، ونقلت الدولة الموحدية الطائفة منهم إلى المغرب الأقصى ويقول حسن علي حسن نقلا عن" المراكشي" « وفي أيام أبي يعقوب ورد علينا المغرب أول من وردها من الغزو، وذلك في آخر سنة 74 أي سنة 574هـ، وما زالوا يكثرون عندنا إلى آخر أيام " أبي يوسف" »،[6]

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، راجعه وصححه الدكتور محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية بيروت، ج8، ط1، 1987،ص 296 .

(2) حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 324 .

(3) أحمد مختاري العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، مصر، د ط، ص 197 .

(4) إبن أبي زرع: المصدر السابق، ج2، ص 40.

(5) عمر فروخ: معالم الأدب العربي في العصر الحديث، دار العلم، بيروت، ط1، 1980، ج1، ص 162 .

(6) حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 325.

وعند تولّي المنصور الحكم زادت طائفتهم وخاصة بعد المعارك التي دارت بين الموحدين وبين الثوار بإفريقيا وانضمام الغزّ للثوار ووقوعهم في الأسر نتيجة هزيمتهم ونقلهم إلى العاصمة مراكش [1]،وقد انضم هؤلاء الغزّ إلى جيش الموحدي وصارت لهم مرتبات شهيرة حيث يقول " المراكشي" فأحسن نزلهم أي أحسن المنصور الموحدي نزل المماليك، وبالغ في تكريمهم وجعل لهم منزلة ظاهرة على الموحدين [2].

وهكذا تمتع الغزّ في عهد المنصور الموحدي بعدة مزايا مالية نتيجة انضمامهم في الجيش الموحدي، ووصل به الحد إلى أن يوصي بهم بعد وفاته بالاستمرار في معاملة الغزّ معاملة طيبة، حيث يقول " ابن العذاري" « حيث قد وصى أي المنصور الموحدي في مرض وفاته »[3].

5) أهل الذمة: عاشت جاليات من اليهود والنصارى على أرض المغرب الأقصى متخذة من أرضه وطنا لها، فقد اعتنق بعض سكان المنطقة الديانة اليهودية، وقد ذكر حسن علي حسن تعليل"ابن خلدون" ذلك بقوله « ربما كان بعض هؤلاء البربر دانوا بدين اليهودية...» ، كما اعتنق فريق من السكان الديانة المسيحية بعد أن دخلت المسيحية إلى المغرب عن طريق رهبان مصر في القرن الثاني للميلاد[4] .

وقد أطلق اسم أهل الذمة على غير المسلمين، والذمة تعني الضمان والأمان الذي يكسبهم حقوق الرعايا ويلزمهم بواجبات أيضا [5].

(1) حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 325 .

(2) شرقي نوارة: المرجع السابق، ص 59 .

(3) ابن العذاري المراكشي: المصدر السابق، ص 87 .

(4) حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 363 .

(5) إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1،1998، ص 140 .

أ) اليهود:

لقد أشارت المصادر عدة مرات إلى وجود اليهود في إفريقية في فترة ما قبل العهد الصنهاجي، ولا شك أنهم كانوا موجودين في معظم المدن الكبرى بشرق الغرب الإسلامي حتى بداية الغزوة الموحدية، لاسيما في القيروان والمهدية وقابس وطرابلس كما أشارت مصادر أخرى إلى وجودهم في جنوب إفريقية وجبل نفوسة في العصر الصنهاجي، وكان بعض اليهود يسكنون بجوار المسلمين ويعيشون معهم متكافلين [1].

حيث استقرت فئات في البوادي وانتشروا في المغرب من سلا إلى تيهرت، وأغلبهم أقام في مكناسة وسجلماسة وغيرها، وفي الأندلس استقرت الطائفة اليهودية في المدن التي شكلت محطات أساسية حول الطرق التجارية ومن أهمها غرناطة التي سميت مدينة اليهود [2].

كما واجه اليهود موقفا صعبا في عهد "الخليفة عبد المؤمن"، إذ تشير بعض الروايات إلى أن الخليفة خيّر أهل الذمة بين الإسلام وترك البلاد أو القتل، وتطبيقا لهذه القاعدة فإن الكثير من اليهود والنصارى غادروا البلاد فرارا بحياتهم [3].

وفي ذمة المنصور الموحدي أصدر أوامره بتغير زيّ اليهود المقيمين في البلاد، حيث يقول حسن علي حسن نقلا عن المراكشي « وفي آخر أيام "أبى يوسف" أمر أن يميز اليهود الذين بالمغرب بلباس يختصون به دون غيرهم، وذلك بثياب كحلية، وأكمام مفرطة السعة تصل إلي قرب من أقدامهم، وبدلا من العمائم كأنها البراديع تبلغ إلى تحت أذانهم، فشاع هذا الزي في جميع يهود المغرب [4].

(1) الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ج2، ص 380 .

(2) محمد شريف سيدي موسى: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بجاية في عصر الموحدين إلى الاحتلال الإسباني (6هـ/10هـ-12م/16م) ،أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، د ط، 2009-2010،ص 68 .

(3) حسن علي حسن: المرجع السابق، ص368.

(4) نفسه: ص 371 .

ولم يزالوا كذلك بقية أيامه حدوا من أيام ابن أبي عبد الله و لما جاء عهد الناصر تغير الوضع بالنسبة لليهود،إذ أن هذا الأخير كان متسامحا معهم مما جعل اليهود يتوسلون إلي الناصر، ليرفع عنهم ما ألزمهم بهم المنصور، لكن اكتفى الناصر بتغير بسيط في كيفية اللباس فقط وأمهم بلبس ثياب صفراء، وفي زمن حكمه اندمج اليهود في أوساط الموحدين وتعاملوا معهم تعاملا عاديا [1].

ب) النصارى:

استعمل بعض المؤرخين عدة أسماء على النصارى، حيث كانوا يسمونهم بالأندلس بالمسحيين أو المستعربين، كما استعملوا مصطلحات أخرى كالروم للتعبير عن كل نصارى الغرب المسيحي، كما أطلق عليهم ابن الأثير مماليك الإفرنج والروم، كما سمتهم مصادر أخرى باالعلوج، وجودهم بالمغرب الإسلامي على شكل أسرى حروب [2]، فالأمير "يوسف بن تاشفين" بعث إلى الأندلس فابتيع له بها حملة من الاعلاج فأركب الجميع وانتمى عنده منهم شراء ماله مائتان وأربعون فارسا، ومن العبيد اشترى نحو الألفين، كما أن على " بن يوسف بن تاشفين استخدام النصارى كجنود وحراسا خصوصيين له وهو أول من استعمل الروم وأركبهم في المغرب وجعلهم يحدقون على المسلمين في مغامرتهم ويأخذون منهم نفقاتهم وأكثر ما يجب عمله . وعقب انهيار دولة المرابطين، انضم المسيحيون العاملون في جيش المرابطين إلى صفوف الموحدين، بعد أن سهلوا على عبد المؤمن دخوله مدينة مراكش عام 541هـ/1146م، ومن ثم ضم عبد المؤمن هؤلاء إلى صفوف جيشه [3]، وفي عهد المنصور استخدمهم في وظائف عدة، فكانوا رماة وحرس وأسكنهم قصرا من القصور التي يمتلكها، وتزايدت أعدادهم فيما بعد أيام المنتصر [4] .

(1) شرقي نوارة: المرجع السابق، ص73.

(2) محمد الشريف سيدي موسي، المرجع السابق، ص67 .

(3) جمال أحمد طه: مدينة فاس في عهدي المرابطين والموحدين، كلية الآداب بسوهاج، دار النشر الإسكندرية، د ط، 2001، ص 168.

(4) جمال أحمد طه: الحياة الاجتماعية، المرجع السابق، ص81 .

وفي أواخر عهد الدولة الموحدية، التحقوا مرتزقة النصارى بالدولة الجديدة المتمثلة في الدولة المرنية، التي تغلبت على الموحدين.

ومن خلال دراستنا لهذا الفصل نستنتج أن:

الأجناس تعددت في بلاد المغرب الإسلامي، وبتعايشها مع بعضها أفرزت ثراء في الحياة الاجتماعية بالمغرب ، و يعتبر البربر من بين أكثر عناصر سكان المغرب وهم السكان الأصليون، ويليها العرب حيث تضاعف عددها بدخول العرب الهلالية كما تعددت السلالات ببلاد الأندلس ، خاصة عند وفود عناصر أخرى على المنطقة كالاغزاز و الصقالبة بأعداد كبيرة والذين كانوا جزاءا من الجيش الموحدي.

هجرة الكثير من الأندلسيين إلى المغرب من فقهاء و علماء ، كما هاجر أيضا بعض البربر إلى الأندلس، ويعود هذا للوحدة السياسية وخضوع الأندلس لحكم الموحدين فأحدث هذا الامتزاج أثارا كثيرة منها الايجابية كتنوع الثقافات والمساهمة في حركت الجهاد في الأندلس ضد النصارى ، ومن الآثار السلبية انتشار الفوضى خاصة في المرحلة الأخيرة من الدولة الموحدية.

كثرة أعداد أهل الذمة في منطقة المغرب إلى درجة أن اسم بعض المدن اقترن باسم أهل الذمة ، غير أن أعدادهم في الأندلس كانت أكثر ، وفي عهد الموحدين أيام عبد المؤمن بن علي خيرهم بتبني دين الإسلام أو قتلهم إن رفضوا ذلك، وفي عهد المنصور ميزهم بلباس خاص عن المسلمين ،ولم يعيشوا بحرية حتى أواخر عهد الموحدين أيام الناصر .

الفصل الثالث: طبقات المجتمع الموحدي

المبحث الأول: الطبقة الحاكمة.

المطلب الأول:طبقة الطلبة.

المطلب الثاني :طبقة الفقهاء والعلماء.

المبحث الثاني: طبقة المتصوفة.

المبحث الثالث : طبقة العامة.

المطلب الأول: التجار.

المطلب الثاني: الصنّاع.

المطلب الثالث: الفلاحون.

المطلب الرابع: مهن مختلفة.

المبحث الرابع: دور المرأة في المجتمع الموحدي.

3/ طبقات المجتمع الموحدي :

لقد شهد مجتمع المغرب منذ منتصف القرن الخامس حتى نهاية القرن السادس من الهجري تنوعا في طبقاته وطوائفه نتيجة للظروف السياسية والاتجاهات الدينية والثقافية التي مرّت بها المنطقة، يضاف إلى ذلك تنوع نشاط السكان ممّا أسفر عنه تعدادا في أصحاب المهن والحرف التي قامت بهذا النشاط، وكانت طبقات المجتمع تتكونمن طبقة حاكمة لها السيادة والسيطرة على البلاد وطبقة العلماء والفقهاء التي احتلت مكانة مرموقة في المجتمع المغربي، ثم طائفة التجار والصناع وأصحاب المهن.

1- الطبقة الحاكمة:

انحصرت السلطة في دولة المرابطين في "يوسف بن تاشفين" وبنيه من بعده، كما انحصرت السلطة في دولة الموحدين في "عبد المؤمن" وأبنائه من بعده ومن هنا أصبحت الأسرتان تتمتعان بمكان السيادة والرئاسة في المجتمع المغربي، حيث شغل بعض أفراد الأسرة الموحدية منصب الوزارة، فقد اتخذ "عبد المؤمن" ابنه "عمر" وزيراً له، وسار على نهجه أبناؤه الخلفاء في اتخاذ وزراء من أسرة الخلافة[1].

كما كان لقبيلة كومية مكانة خاصة في دولة الموحدين فإليها ينتسب "عبد المؤمن بن علي" واتخذ من أفرادها بطانة له، وأصبحت من أعظم قبائل الموحدين واحتلت مكانة الصدارة وذلك لانتماء ولّاة الأمر لها، وعلى ذلك تمتعت الأسرة الكومية بمكان السيادة والرياسة في المجتمع المغربي[2].

(1) حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 329 .

(2) جمال احمد طه: مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين، المرجع السابق 163.

أ)- طبقة الطلبة: وهي طبقة مستحدثة في دولة الموحدين ولم تكن موجودة من قبل في دولة المرابطين وقد اختلف مدلول كلمة الطلبة في عهد "ابن تومرت" ففي بدء الدعوة كان يسمى أصحابه الطلبة وباقي الداخلين في دعوته ، حيث يقول ابن خلدون " ولما كملت بيعته لقبوه بالمهدي وكان لقبه قبلها الإمام وكان يسمى أصحابه الطلبة وأهل دعوته الموحدين ".

كما قسم ابن تومرت أصحابه وأتباعه إلى طبقات مميزة وصار في مقدمة الطبقات العشرة ويعني بهم أهل الجماعة، ثم أهل خمسين ثم أهل سبعين ثم الطلبة ثم الحفاّظ وهم صغار الطلبة ويقصد بجماعة العشرة وهم أصحاب" ابن تومرت " وأقرب الناس إليه، كانوا بالأمس يطلق عليهم لفظ الطلبة أما في التقسيم الطبقي الجديد فصاروا أهل الجماعة، وصار لفظ الطلبة يطلق على الطبقة الرابعة والخامسة أي يجد المجلسين الاستشاريين وهما مجلسا الخمسين والسبعين[1]، وكان طلبة الموحدين هم الذين يرافقون الخليفة في أسفاره، كما كانوا يحضرون في كل مجلس عام وخاص يجلسه الخليفة[2]،وعندما تولى الحكم "الخليفة عبد المؤمن بن علي" صار الطلبة يشكلون طبقة متميزة تحظى باهتمام خلفاء الموحدين وصارت كلمة الطلبة تطلق على ثلاثة فئات ولكل فئة وظيفتها ودورها:

طلبة الحفاظ: وهم الذين جمعهم الخليفة "عبد المؤمن بن علي" من مختلف القبائل، وأنشأ لهم مدرسة خاصة في مراكش لتعليمهم وتثقيفهم بالعلوم الدينية وأسس الدعوة الموحدية حيث شغلوا بشتى الوظائف الإدارية في الدولة.

وأما طلبة المصامدة: اشتغلوا بالدعوة في مختلف أقاليم الدولة، وهم من كانوا توجه إليهم رسائل إدارية من الخلفاء .

طلبة الحضر: وهم مشتغلون بالعلم ويحضرون إلى العاصمة باستدعاء من ولاة الأمر[3].

(1) حسن علي حسن: المرجع السابق،ص 331.

(2) جمال احمد طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين: المرجع السابق، ص 164.

(3) حسن علي حسن :نفسه،ص332-333.

احتلت هذه الطبقة بكل فروعها مكانة مميزة في المجتمع الموحدي جرّاء المعاملة التي تلقوها من قبل الخلفاء الموحدين بصفة خاصة.

ب)- طبقة العلماء والفقهاء : احتلت طبقة الفقهاء والعلماء منزلة رفيعة في مجتمع المغرب الأقصى منذ ظهور الدولة المرابطية إلى غاية قيام دولة الموحدين ويرجع السبب في ذلك إلى أن الدولتين المرابطية والموحدية قامتا على أساس ديني ودعوة إصلاحية نادت بها كل من الدولتين، فالدولة المرابطية قامت على دعوة "عبد الله بن ياسين" الإصلاحية في صحراء المرابطين وكان المبدأ الديني هو القاعدة الأساسية التي ترتكز عليها الدولة في سياستها، وبالتالي فإن القائمين على شؤون الدين والمشتغلين بعلومهم احتلوا مكانة مرموقة في المجتمع المغربي، فأمير المسلمين "يوسف بن تاشفين" كان محبا للعلماء معظّما لمكانتهم[1].

ونفس السياسة اتبعها خلفاء بن تاشفين من بعده في تقريبهم للفقهاء وتكريمهم، وهذه المكانة التي أعطاها خلفاء المرابطين لهذه الشريحة مكنتهم من أن يصبحوا من أصحاب الأموال والعقارات.

ولما ظهرت حياة البذخ والرفاهية انحرف الفقهاء عن مسارهم الصحيح وتعرّضوا إلى النقد من طرف العامة وغيرهم، وكان من أكبرهم في تلك الفترة "محمد بن تومرت"[2]، حيث كان يعتبرهم شرّ الطوائف الثلاثة، لأنهم كان لهم الدور الأكبر في تضليل الناس، وفي تبرير فسادهم وإلباسهم ثوب الحقّ والدين، والمآخذ عن هؤلاء كثيرة ومتنوعة[3].

(1) حسن علي حسن: المرجع السابق،ص332.

(2) جمال أحمد طه: الحياة الاجتماعية، المرجع السابق، ص 100.

(3) عبد المجيد النجار: تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، د ط ،1995،، ص 83.

لم يبلغ الفقهاء والعلماء في الدولة الموحدية نفس المستوى من النفوذ الذي كانوا يتمتعون به في الدولة المرابطية، وذلك لأن الدولة الموحدية قامت على أساس محاربة تسلط الفقهاء وجمودهم العقلي، كما أن "ابن تومرت" عمد منذ المرحلة الأولى في حياة الدولة إلى توزيع السلطات والمسؤوليات على هيئة الطبقات التي ابتكرها، ومن ثم لم يدع فرصة للعلماء وغيرهم من فرض نفوذهم وسيطرتهم على شؤون الدعوة[1].

إلا أن هذه السياسة لم تنقص كثيرا من المكانة التي احتلوها، وتميز الفقهاء في تلك الفترة بثقافة كبيرة ومجال علمي واسع فزيادة على براعتهم في مجال الدين، برعوا في مجالات أخرى كعلوم اللغة والفلسفة وحتى العلوم الطبيعية، وبذلك اجتهد الخلفاء الموحدين على استجلاب أكبر عدد من الفقهاء والعلماء إلى حظيرتهم بمراكش وخاصة من الأندلس ومن بينهم الفقيه "يحي بن رزق" الذي سكن سبتة، واستدعى كذلك "المنصور" والفقيه "محمد بن خلف المعافري الذي توفي بمراكش (601 هـ-1204 م) وهذا التواجد والحضور الكثيف لعلماء الأندلس بشتّى اختصاصاتهم الدينية والعلمية، لا يعني أبدا أن المغرب كان فقيرا في المجالات العلمية المختلفة ومنهم[2]،"الحجاج بن يوسف بن موسى الكلبي" حيث بعث ابن يوسف حملة من المال، حيث توفي بمراكش سنة (520هـ/1125) [3]،وأبو عبد الله محمد بن ياسين الذي عرف بأنه فقيه المصامدة توفي سنة (624هـ/1226) [4].

وهناك علماء وفقهاء آخرون، كان لهم دور كبير في توحيد المجتمع بإسداء الموعظة والنصح للخلفاء والولاة وحث عامة الناس.

(1) حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 338-339.

(2) شرفي نوارة: المرجع السابق، ص92-93.

(3) حسن علي حسن: نقسه، ص 340.

(4) جمال أحمد طه: الحياة الاجتماعية، المرجع السابق، ص 104.

2- طبقة المتصوفة :

عاش في مجتمع المغرب الأقصى خلال القرنين الخامس والسادس من الهجرة الكثير من الصالحين هؤلاء الذين اتخذوا التصوف منهجا لحياتهم، وتجمع حولهم أتباع والمريدون ينهلون من علمهم ومعرفتهم، وكانت الملامح البارزة لهذا التصوف الزهد ومجاهدة النفس والإكثار من العبادة والأذكار، ولم يكن تصوفا فلسفيا .

وشهد المغرب مدنه وسهله الكثير من هؤلاء الصوفية، وقد تركت بصماتهم على صفحة الحياة المغربية، حيث التقى الكثير من أبناء المجتمع حولهم يعظمونهم وينزلونهم منزلة التقديس والتكريم، وأصبحوا هم الملجأ والملاذ حين تنزل بالناس أزمة أو شدة، حيث رسخت في نفوس الناس قدرتهم على شفاء المرضى، ومن ثم كانوا يقصدونهم لمداواة مرضاهم [1].

وكان لهؤلاء الصوفية عوائد وطرائق ينتهجونها خصوصا في بعض المناسبات الدينية وبعد صلاة الجمعة، ونظرا لانتشار هذه الطائفة وتغلغلها في الغرب الإسلامي، فإن الموحدين لم يحاولوا أخذ موقف عدائي اتجاه أفرادها، بل حاولوا أن يغضوا الطرف وأن لا يصطدموا بزعمائهم محاولين كسبهم إلى جانب الدعوة الموحدية أو على الأقل تحييدهم وعدم اتجاههم إلى اتخاذ موقف معاد[2]، وبالرغم من تطور العلم فمقابر الأولياء الصالحين لا يزال الناس يقصدونها للتبرك والدعوة، حتى أن البعض منهم يحلف باسم الأولياء الصالحين.

(1) حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص 376-377.

(2) عصمت عبد اللطيف دندش ، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين (عصر الطوائف الثاني) 510 هـ - 546هـ / 1116-1151م ، دار الغرب الإسلامية، بيروت-لبنان، ط1 ،1988، ص 298-291.

3- طبقة العامة :

سميت بالعامة نظرا لكثرة عددهم وعدم الإحاطة بهم، وبذلك اختلفوا عن الخاصة، ولم يكن اختلافهم عن الخاصة بكثرة عددهم فقط بل كانوا ليسوا من أصحاب السلطة، ومارس أصحاب هذه الطبقة عدة مهن مختلفة من بينها:

أ)-التجار : كانت التجارة من أهم المهن التي وجدت في المغرب .سواء منها تجار الجملة أم تجار التجزئة الذين يبيعون بضائعهم في متاجرهم، أو عن طريق التجول لسد حاجات السكان[1]، زد إلى ذلك نجد تجار القوافل الذين عرفوا بتجار الصحراء، وهم من تاجري الذهب والجلد والعاج وحتى الملح والنحاس[2].

وكّون هؤلاء الأفراد طبقة اجتماعية كانت همزة وصل بين الإنتاج والاستهلاك وقامت هذه الطائفة بدور ملحوظ في دفع الحركة الاقتصادية بالبلاد، فعند طريقهم يتم البيع والشراء، ويجد السكان عندهم حاجياتهم.

كما كان هناك التجار اللذين يتعاملون مع الأندلس وأوربا والمشرق في التصدير والاستيراد، وقد عقد تجار الجملة صلات مع تجار الغرب، في مدن المغرب الأقصى، وأيضا مع غيرهم في البلاد الأخرى [3].

وقد عمل التجار على توزيع الكثير من السلع فباعوا الجلود والسيوف والتوابل وجلبوا المسك، وكان بائعو الحلي من المسلمين واليهود الذين كانوا كثر في فاس وسجلماسة، وكان وجودهم كبيرا في المراكز الرئيسية للتبادلات[4].

---

(1) جمال أحمد طه : مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، المرجع السابق، ص 163.

(2) إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1995 ، ص 246.

(3) حسن علي حسن:المرجع السابق، ص 344.

(4) جمال أحمد طه: الحياة الاجتماعية، المرجع السابق، ص 108.

ومع هذا تعرضت هذه الشريعة في بعض الأحيان إلى كوارث كادت تقضي على تجارتهم.

ومن بين هذه الكوارث نجد أن سوق مراكش شبّ فيه حريق أثّر على كل ما فيه حيث يقول "إبن العذاري" « وفي هذه السنة كان الحريق الشائع الضرر بقيسارية مراكش وما اتصل بها، وذلك ليلة الخميس الثالث عشر بجمادى الأول، والناس كما أووا إلى مضاجعهم وسكنوا إلى هدوئهم وهجوعهم، فتمكنت النار بين العيدان وشفوف الثياب وأسرعت كالشهاب في سقف الأسواق »[1].

زد إلى ذلك الحروب التي كانت سببا في افتقاد العديد من التجار والتأثير السلبي على التجارة الداخلية عامة والخارجية خاصة .

ب)- الصنّاع: إن الازدهار الصناعي الذي شهدته البلاد، قام على أكتاف طبقة الصنّاع الذين اشتروا في أرجاء البلاد وكانوا طائفة لها أهميتها ووزنها بين طبقات المجتمع الأخرى[2]، وقد شملت طائفة الصنّاع عدّة طوائف في مقدمتها طائفة صانعي الثياب وتضم عدة حرف تقوم على تحويل مواد الخام إلى ملابس قطنية وصوفية وكتانية، وغيرها من أنواع الملابس، ومنهم الحلاجون الذين يقومون بحلج القطن، وأيضا صانعوا الأرجاء والذين كانوا يقومون بصناعة ما يحتاجه السكان من المصنوعات الخشبية[3]. وصانعوا الخبز الذين يسمّون الدقاقون واللذين يقومون بطحن الدقيق ثم يقوم الخبّاز بإعداده والإشراف على طهوه في الأفران المختلفة[4]، وقد تنوعت الصناعات بقدر تنوع احتياجات الناس ولكثرة احتياجاتهم كثرت الحرف والصناعات.

(1) ابن العذارى المراكشي: البيان، المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق الأساتذة، محمد إبراهيم الكتاني، عبد القادر رزمامة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د ط،1985،1،ص 257-258.

(2) حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص 347.

(3) جمال أحمد طه: مدينة فاس، المرجع السابق، ص 166-167.

(4) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب في روضة القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس،الرباط، د ط، 1972، ص48.

ج)- الفلاحون : وهم الذين عاشوا في الراضي الزراعية، واشتغلوا في زراعة الأرض، واستخراج ما في باطنها من مختلف أنواع المزروعات والثمار يشكلون إحدى الطوائف العامة، يعملون باالحراثة والفلاحة[1]، وقد انتشروا في مناطق المغرب فالمصامدة كانوا زرّاعا وكذلك قبائل تاْسْنا وغيرها من القبائل التي امتهنت الزراعة وهؤلاء عماد حياتهم زراعة الأرض وبيع محاصيلهم، وفي بعض الأحيان كان الزرّاع يعانون من ظلم حياة المحاصيل وجامعي الضرائب، كما حدث بالنسبة لزراع مكناسة، ومن هنا لجأ ولاة الأمر معهم إلى نظام المقاطعة تخفيفا عليهم[2].

وكذلك وجد الخماسون الذين يقومون بالأعمال الزراعية وخدمة الحيوانات مقابل مشاركة الأرض بنسبة الخمس في إنتاج الأرض، وعرف المزارعون بالموسميون الذين يعملون في أيام الحرث والحصاد وأنواع أخرى من الخدمة[3].

د)- مهن مختلفة :

هؤلاء يشكلون جماعات صغيرة بمدن المغرب الأقصى، ويسهمون مع طبقة التجار والصنّاع في تسيير متطلبات الحياة اليومية للسكان، ولا يتسع مجال البحث لاستقصاء كل أصحاب المهن التي وجدت نتيجة لحاجيات السكان ولكن يمكننا الإشارة إلى بعضهم ومن بين هؤلاء:

- **الحمّال** : وهو ذلك الشخص الذي يقوم بنقل البضائع من مكان لآخر إما فوق كتفه أو على دابة تحمل المنقولات وكانوا يستخدمون الأكياس لحماية ثيابهم، والحبال لربط المنقولات[4].

(1) جمال أحمد طه: مدينة فاس، المرجع السابق، ص 167.
(2) حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص 347.
(3) جمال أحمد طه: الحياة الاجتماعية في العصر الإسلامي، المرجع السابق، ص 116.
(4) حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 349-350.

- **البناءون :** وقد اشتغل في البناء جماعة كبيرة من الصّناع نتيجة للحركة العمرانية التي شهدتها البلاد من كثرة في بناء المساجد والمدارس والمنازل والقصور.

وقد برز في عملية البناء "أبو الحسن بن محمد الأزرق العطار"و"صخر بن مسعود"إضافة إلى " محمد بن أحمد بن محمد الخولاني" الذي مهر في حرفة البناء[1].

- **الصيادون:** وهؤلاء عاشوا قريبا من شواطئ البحار والأنهار حيث مصادر الأسماك، وقد سبق أن أشرنا إلى وفرة الأسماك بالمغرب الأقصى، نتيجة للموقع الذي يطلّ على البحر المتوسط في الشمال والمحيط الأطلسي في الغرب، بالإضافة إلى الأنهار المتعددة والتي كانت تشقّ سهول ووديان المغرب الأقصى[2].

(1) جمال أحمد طه: مدينة فاس، المرجع السابق، ص 167.

(2) حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 351.

4) المرأة في المجتمع الموحدي:

إن أقدم رأي في تقييم عقل المرأة هو رأي الفيلسوف المغربي إبن رشد الذي قال في تعليقه على جمهورية أفلاطون أنه لا يوجد اختلاف بين الرجال والنساء في الطبع وإنما هو اختلاف في الحكم، لأن طبيعة النساء تشبه طبيعة الرجال [1].

تمتعت المرأة في عصر الدولة المرابطية بقسط وافر من التحرر والاختلاط بالرجال في الأماكن العامة والمناسبات المختلفة، وعندما بدأ "ابن تومرت" بدعوته عمل على محاربة ومقاومة هذا الوضع وخاصة موقفه من اختلاط الرجال بالنساء في بجاية وقيامه بزجرهم وردعهم عن ذلك.

وبقيام الدولة الموحدية اختلف وضع المرأة بها عن مثيلاتها في الدولة المرابطية، إذ لم تمنح الحرية المطلقة والتي تمتعت بها المرأة المرابطية، وهذا له دلالة في التزام الدولة بالأحكام الشرعية المتعلقة بالمرأة وعمل " عبد المؤمن بن علي" على تكريم المرأة في عهده من إطلاقه لنساء المرابطين اللاتي وقعن في أسره [2]، وتكريم " أبي يعقوب لابنه محمد بن سعد بن مردنيش" الثائر وزواجه بها [3].

وقد اشتهر المنصور الموحدي بإنصافه للمرأة، يقول حسن علي حسن نقلا عن " ابن خلكان" في صفات " المنصور" « ويقف للمرأة والضعيف ويأخذ لهم بالحق» .

ومن هذا يتضح أن المرأة تمتعت بمكانة طيبة ونالت التقدير والاحترام من ولاة الأمر بالمغرب الأقصى [4].

---

(1) الحسن السائح: الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط2، 1986، ص 234.

(2) ليلى أحمد النجار: المرجع السابق، ص 414.

(3) ابن العذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 135.

(4) الحسن علي حسن: المرجع السابق، ص 356.

كذلك كرّم الناصر الموحدي سبايا ميورقة حين أمر بإطلاق سراحهن ومساعدتهن بالأموال على الزواج، ونفس التكريم وجده نساء العرب الهلالية حين وقعن في الأسر من الخليفة "عبد المؤمن" فقد وكّل بهذا الخدم لخدمتهن حتى وصلن إلى مراكش فأنزلهن المساكن الفسيحة وأجرى عليهن النفقات الواسعة.

كما منحت المرأة في عهد الموحدين حرية محدودة، ولم تعرف أي نشاط سياسي إلا مع الخلفاء في الأواخر عند اضطراب أمور الدولة، فزوجة "المأمون" مثلا كان لها دور كبير في تولية ابنها " الرشيد" على عرش الموحدين .

ويعد أهم ما قام به الموحدون لصالح المرأة هو فرض "عبد المؤمن" إلزامية التعليم على الرجال والنساء [1].

وكان في هذا أحد العوامل التي ساعدت في تثقيف المرأة وبروزها في مجالات علمية عديدة من أديبات وشاعرات وغير ذلك، ونذكر من بينها إحدى أخوات " الطيب ابن زهد " التي كانت من بين ممرضات القصر الموحدي، وامتازت بمعرفتها لفنها وماهرة في الطب النظري... [2].

وفي مجال الشعر برزت حفصة الركونية التي قامت بالتدريس لنساء المنصور الموحدي في مراكش [3].

كما تمتعت النساء المغربيات والأندلسيات بقسط وافر من الجمال، فيذكر أن نساء المغرب والأندلس كنّا غاية في الظرف واللطف [4].

ويظهر مما سبق أن المرأة لم تقتصر على العناية بالمنزل والأسرة، بل سعت إلى التزود بالعلم والثقافة والإسهام بنصيب واسع في الأعمال المناسبة لها.

(1) شرقي نوارة: المرجع السابق، ص 113.
(2) الحسن السائح: المرجع السابق، ص 235.
(3) ليلى أحمد النجار: المرجع السابق، ص 416.
(4) إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق ، ص 53.

ومن خلال دراستنا لهذا الفصل نستنتج أن:

المجتمع الموحدي كان يتكون من عدة طبقات وفئات، على رأسها الطبقة الحاكمة المكونة من الفقهاء والعلماء ، و قام الموحدون باستحداث طبقة الطلبة وذلك لكي يقلصوا سلطة وصلاحيات الفقهاء في الدولة، الذين تجاوزت سلطتهم أيام المرابطين سلطة الأمراء، غير أن الموحدين لا يعني أنهم أهملوا هذه الفئة ، بل العكس حيث عمل الخلفاء الموحدين على جلب الفقهاء والعلماء من الحواضر البعيدة إلى حاضرتهم بمراكش و كرموهم.

إضافة إلى هذه الطبقة ظهرت في تلك الفترة طبقة المتصوفة التي كان لها مكانة في المجتمع ،وخاصة في أوساط العامة من الناس ، حيث عملوا على مساعدة الناس في أمورهم اليومية، سواء كانت مادية أو معنوية.وكان الناس يؤمنون بأن دعوات هؤلاء المتصوفة مستجابة، وهو ما جعل الناس يقصدونهم من كل جهة، من اجل الدعاء لهم لتيسير حياتهم كما كان قصد بعضهم معالجة بعض الأمراض.

واعتبرت الطبقة العامة اكبر شرائح المجتمع في تلك الفترة ،حيث عانت كثيرا من الكوارث الطبيعية والاقتصادية والتي كانت تعصف بالدولة آنذاك ،كالحروب والحرائق.

وينتمي إلى هذه الطبقة شريحة أصحاب المهن الذين لعبوا دور هام في ازدهار اقتصاد هذه الدولة، فنجد فيهم التجار و الصناع وكذلك البنائين و الصيادين وغيرهم من أصحاب المهن الذين قد تبدوا مهنهم بسيطة غير أنها مهمة هي الأخرى، لأنها تحدث تكاملا اقتصاديا.

كما حظيت المرأة في المجتمع ألموحدي بمكانة محترمة رغم حريتها المحدودة عكس نظيرتها المرابطية ، لكن هذا لم يمنعها في احتلال مكانة هامة وسط هذه الطبقات حيث تمتعت بالكثير من الحقوق ومن أهمها التعليم الإجباري الذي كان أيام الموحدين إلزاميا على كل الجنسين.

الفصل الرابع: العادات والتقاليد:

المبحث الأول: الزواج وتكوين الأسرة.

المبحث لثاني: العادات الجنائزية.

المبحث الثالث: المجالس.

المطلب الأول: مجلس الخلفاء.

المطلب الثاني: مجلس الوعظ .

المطلب الثالث: مجالس مختلفة .

المبحث الرابع: الاحتفالات.

المطلب الأول: الاحتفالات الدينية.

المطلب الثاني: الاحتفالات العسكرية.

المطلب الثالث: الاحتفالات متنوعة.

المطلب الرابع: أعياد أهل الذمة.

المبحث الخامس: اللباس.

4/ العادات والتقاليد:

عاش سكان المغرب الأقصى منذ أن تأسست على أرضه دولة المرابطين في ظل عادات وتقاليد موروثة، ورثه عن الأجيال السابقة، وبعضها استحدثت خلال هذه الفترة نتيجة لظروف سياسية ودينية التي مرت بها المنطقة [1].

كما ذكر كمال أبو مصطفى أن" الونشريسي" اوضح من خلال بعض النوازل والفتاوى الفقهية العديد من العادات والتقاليد والأعراف في العصر الإسلامي ومنها: [2].

1) الزواج وتكوين الأسرة: كانت الأسرة نواة المجتمع المغرب، وهي تتكون عادة من الزوج والزوجة وأبنائهما، وكان للزوج أن يتزوج بأكثر من واحدة طبقا للشريعة الإسلامية، على ألا يتجاوز العدد أربع زوجات .

وكان بعض الرجال يتزوجون نساء من جنسيات أخرى تخالف جنس البربر، كما أن المصامدة كانوا يعتبرون الزواج من الحبشيات عار، ولعلم هذا يرجع إلى نظرة المصامدة للحبشيات و اعتبار هذا اقل منهم منزلة [3].

كما شاع في دولة الموحدين الزواج بالنصرانيات، فنلاحظ الخلفاء مثل أبى يعقوب تزوج من نصرانية، وأنجبت له ابن الخليفة المنصور الموحدي [4].

---

(1) حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 406 .

(2) كمال أبو مصطفى: جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريس، الناشر لمؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د ط،1997، ص 41.

(3) حسن علي حسن: المرجع نفسه، ص 406-407.

(4) ليلى أحمد نجار: المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، السعودية، د ط، 1989، ج2، ص 417.

كما تزوج " يوسف بن عبد المؤمن " من ابنة " بن مردنيش صاحب مرسية قبل سيطرة الموحدين عليها، وهذا في سنة 568هـ/1181م، حيث يقول ابن العذارى: « وفي هذه السنة تعرس أمير المؤمنين بابنة ابن مردنيش ، وكان إنشاؤه ، بها ليلة السبت ، الخامس لربيع الأول »[1].

2) العادات الجنائزية: يذكر كمال أبو مصطفى نقلا عن الونشريسي أن العادات والتقاليد المتصلة بالجنائز والوفاة، منها عادة الجهر بالتهليل أمام الجنازة فيقوم الناس في جنائزهم عند حملها بالتهليل والتصلية والتبشير والتنذير على صوت واحد [2]،كان بناء المقابر ضروري لاستقبال الموتى، وفي الشريعة الإسلامية ينصح بالإسراع بالدفن، حتى قيل إكرام الميت دفنه، وذلك لعدة اعتبارات، فقد عرفت منطقة العرب الإسلامي بناء المقابر منذ الفتوحات الإسلامية لها، وكان المسلمون يقيمون مقابرهم خارج المدينة [3]، وقد خصصت بعض المقابر لاستقبال الوجهاء والأعيان من رجال الدولة والخلفاء وأفراد أسرتهم دون سواهم .

ومن العادات التي ارتبطت بالموت أقدام الكثير عل ترك وصية لأبنائهم أو احد أقاربهم منها تحديد المكان الذي يرغب الميت أن يدفن فيه،وحدة بعضهم في وصية للشخص، الذي يقوم بالصلات عليهم، حيث يقول ابن العذارى، « وذكروا _ والله اعلم بأنه من وقت تلك الرؤيا التي رآها المنصور قام بنفسه أن يقتلع عن الملك وبقى يعبد الله حتى يموت فقدم ابن الناصر وأوصى وصاياه وغاب واخبر الناس بموته والله اعلم بتحقيق أمره »[4].

(1) ابن العذارى المراكشي: بيان المغرب، قسم الموحدين، المصدر السابق، ص135.

(2) كمال أبو مصطفى: المرجع السابق، ص41.

(3) جمال احمد طه: الحياة الاجتماعية، المرجع السابق، ص223.

(4) ابن العذارى المراكشي: بيان المغرب، قسم الموحدين، المصدر السابق، ص34-231 .

كما يذكر كمال أبو مصطفى نقلا عن الونشريسي إلى عادة مغربية تسمى" سابع الميت "، حيث كان أهل المتوفى في اليوم السابع للوفاء يصنعون طعاما للفقراء والأقارب للترحم على الميت، وصلة الأرحام ويسمى هذا الطعام بعشاء القبر.

وكذلك من عادات من عادات أهل المغرب عند وفات الرجل خروج نساء أهله وأقاربه ومعهن نساء من الجيران إلى المقبرة، ويضيف أن من عاداتهم أيضا الوقوف عند القبر للتعزية والدفن في التوابيت وطليها بالزعفران، كما أحدثوا عادة القراءة على القبر وتكرار زيارته، كما جرت عادة الماخرين من القيروانيين وغيرهم بوضع مصحف في قبر المتوفي، ويأخذون أجزاء منها ويتلونها عند زيارة القبر [1].

3) المجالس: لعبت المجالس التي شهدها المجتمع المغربي دورا كبيرا في نشر الثقافة بين الناس، وهي عبارة عن حلقات تقام لمناقشة أمور فكرية متنوعة علمية أو أدبية، وعقدت هذه المجالس في أماكن عدة فمنها ما عقد في بلاط الخلفاء والأمراء ومنها ما عقد في المساجد والبيوت وحتى الأسواق نذكر منها:

أ) مجلس الخلفاء: تعتبر مجلس الخلفاء في دولة الموجدين كثيرة ونظامها أن الخليفة كان يتصدر المجلس، فخطيب الجماعة ثم القاضي فكبير الأطباء، ثم كبير علماء الحضرة، ثم باقي العلماء حسب مراتبهم ، وكان أغراض مجالس الخلفاء متنوعة منها ما هو لأغراض سياسة، تخص أمور الدولة، كما فعل المنصور ألموحدي عندما أراد غزو الأندلس في معركة الأرك، وكان الخلفاء الموحدون يعقدون مجالسهم لاستقبال القادمين للسلام عليهم أو المهنئين لهم، مثل استقبال المنصور للمهنئين له عقب انتصاره على بني غانية واستعادة بجاية سنة 581هـ/1185م [2]، كما كانت في بعض الأحيان المشاكل اليومية تعرض في مجلس الخليفة،

(1) كمال أبو مصطفى: المرجع السابق، ص42-43.

(2) ليلى أحمد نجار: المرجع السابق، ص417-418.

ومن ذلك أن يجيب " بن عبد العزيز "، حيث كان ملكا لبجاية قبل استيلاء " عبد المؤمن عليها ثم احضره معه إلى مراكش، كان في مجلس " عبد المؤمن يوما فذكر الحاضرون تعذر الصرف وشاركهم القول في ذلك يجيب من انه يعاني من ذلك أيضا لان خدمه لا يجيدون العملات الصغيرة متوفرة، فلما سمع الخليفة ذلك أمر بتحقيق مطلبهم وتوفير العملات الصغيرة للتداول[1].

ب) مجلس الوعظ: وهي نوع أخر من المجالس شهدها المجتمع المغربي، يتولى فيها العلماء والصلحاء الحديث، حيث يعظون الناس ويرشدونهم، وقد تجلى ذلك في طريقة " ابن تومرت " وجمعه للإتباع، حيث كان يجلس إلى الناس يعظهم ويعلمهم أمور دينهم وبعضهم كان يتخذ من الأسواق والطرقات مكان ليعظ فيه، وبعضهم كان يحدد أياما في الأسبوع لمجالس وعظة .

وممن اشتهر بالحديث في مجالس الوعظ " أبوا مدين المتصوف " المنوفي سنة 594هـ/1197م، حيث كان الناس يقصدونه في كل مكان [2].

ج) مجالس مختلفة: وهي تلك المجالس، التي كان يفقدها الأمراء وأكابر رجال الدولة في قصورهم ومنتدياتهم ويحضرها الأدباء والشعراء.

وبجانب هذه المجالس، كانت هناك مجالس فقهية التي كان يقصدها العلماء في المدن المغربية كسبة وفاس وغيرها للمناظرة والبحث والدراسة.

ومن المجالس الأدبية التي كانت تعقد في العاصمة مراكش، مجلس حواء بنت تاشفين وكان يحضره الكتاب والشعراء وكانت تحاضرهم فيه[3]، ساهمت هذه المجالس في نشر العلم

(1) حسن علي حسن: المرجع السابق، ص406.

(2) نفسه: ص417.

(3) شرقي نوارة : المرجع السابق، ص151.

بين أفراد المجتمع، حيث لم تقتصر على الرجال فقط، بل حضرت بعضها النسوة، ولم تميز بين طبقات المجتمع فقد حضرها الأعيان والوزراء كما حضرتها العامة أيضا.

4) الاحتفالات: شهد سكان المغرب الأقصى العديد من الاحتفالات، والتي كانت تقام في المدن المغربية نتيجة لمناسبات مختلفة، وقد اشترك أبناء الشعب في هذه الاحتفالات معبّرين عن شعورهم وعاطفتهم إزاء هذه الاحتفالات.

ويمكننا أن نقسم هذه الاحتفالات باعتبار بواعثها ودوافعها إلى أنواع ثلاثة، فهناك الاحتفالات الدينية وأخرى عسكرية، وأخرى احتفالات متنوعة نظرا لأسباب متعددة [1].

أ) الاحتفالات الدينية: يذكر كمال أبو مصطفى نقلا عن الونشريسي أن الاحتفالات بالمولد النبوي الشريف كان يلقى اهتماما كبيرا من قبل ولاة الأمر وسائر طبقات المجتمع المغربي، حيث اعتاد الناس الاحتفال بتلك المناسبة بإيقاع الشمع، والتزين بما حسن من الثياب، كما كانت تكثر في تلك المناسبة الصدقات على الفقراء والمساكين واليتامى [2].

كما احتفلوا بيوم عاشوراء فتشير الرواية إلى ذلك « وهم يعظمون يوم عاشوراء تعظيما كبيرا وهو عندهم مثل الأعياد، ولهم فيه صدقات كثيرة وكساء المساكين »[3].

وقد احتفل أهل المغرب والأندلس بعيدي الفطر والأضحى، حيث في عيد الفطر يخرج الناس لأداء صلاة العيد، ويلبسون الثياب الجديدة والأنيقة، ويقوم الناس بزيارة بعضهم البعض، ومنهم من يقصد أولياء الله الصالحين .

(1) حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 418.
(2) كمال أبو مصطفى، المرجع السابق، ص 44.
(3) ليلى أحمد نجار: المرجع السابق، ص 421.

أما في عيد الأضحى فكان الناس يشترون الأضاحي، غير أن شراء كبش العيد لم يكن في مقدور كل فئات المجتمع، لذا اقتصر على الفئات الميسورة، وبهذا كان العيدين مناسبة الفرح والتسامح [1].

ب) الاحتفالات العسكرية: شهدت المدن المغربية منذ قيام دولة المرابطين كثيرا من الاحتفالات العسكرية، والتي كان يخرج فيها الناس لمشاهدة عرض عسكري، استعدادا لحملة أو خروج ولي الأمر على رأس جنوده إلى معركة من المعارك.

واتبع الموحدون عادة العرض العسكري، وكانت من الأشياء الموجبة إلى نفس الخليفة " عبد المؤمن" أن يجلس ويستعرض جنوده وكتائبه، وكان الناس يخرجون لمشاهدة مواكب الجند وحشودهم، وقد استمر العرض العسكري بمراكش سنة (579هـ/1183م) شهرا، وذلك حين جهز الخليفة " يوسف عبد المؤمن" جنوده للعبور إلى الأندلس .

وكان مواكب الموحدين ونظمها وما يصحبها من دقّ الطبول، سببا قويا في احتشاد الناس لرؤية هذا الموكب والاحتفال بها وتوديعها أو استقبالها عند عودتها [2].

كما كانت تعلو مراكب الجيش رايات بيض مكتوب عليها: الواحد الله محمد رسول الله "المهدي خليفة الله من جهة والجهة الثانية كتب عليها: "ما من إله غير الله وما توفيقي إلا بالله وأفّوض أمري إلى الله [3].

وهكذا كانت الاحتفالات العسكرية بمثابة مناسبة فرح وبهجة، ينشد فيها الشعراء قصائدهم وتدوم هذه الاحتفالات لأيام عديدة.

---

(1) شرقي نوارة: المرجع السابق، ص 160.

(2) حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 421-422.

(3) ابن أبي زرع، روض القرطاس، المصدر السابق، ص 135.

ج) احتفالات متنوعة: تنوعت الاحتفالات ببلادي المغرب والأندلس فمنها ما كان يقام داخل الأسرة، كالاحتفال بمولود جديد، وتقام حفلة السابع أو العقيقة، وهي ذبح كبش أو أكثر باسم المولود، ويحتفل بالأم وتقدم لها الهدايا، وفي هذا اليوم يدعى الأهل والأصدقاء، وتقدم المأكولات والحلوى.

كما تقام حفلات الأعذار أو الطهور التي كانت من المناسبات العائلية السارة التي تحييها الأسرة بإقامة المآدب وحفلات الموسيقى والغناء [1].

وأقيمت احتفالات في العاصمة وغيرها من المدن المغربية بسبب حدث هام أو مجيء وفد أو تشييد أحد المنشآت[2].

واحتفل الأندلسيون بأعياد موسمية مثل عيد العصر، وكان يستغرق الاحتفال به عدة أيام، ووقت هذا العيد في الخريف عند جني العنب، كما احتفلوا بعيد يناير، بإقامة النصبات في المنازل وهي عبارة عن موائد كبيرة يضع عليها الباعة أصناف الحلوى والفواكه، وغيرها من الاحتفالات الأخرى التي كان الأندلسيون يقيمونها [3].

(1) عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين(عصر الطوائف الثاني) ، دار الغرب الإسلامية، بيروت، لبنان، د ط ،1988، ص 332.

(2) حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 425.

(3) عصمت عبد اللطيف دندش: المرجع نفسه، ص 326-327.

د) أعياد أهل الذمة: شارك المسلمون أهل الذمة في الكثير من احتفالاتهم على سبيل المثال الاحتفال بليلة ميلاد المسيح " عيسى عليه السلام" وهي بمثابة عادات مسيحية تأثر بها المسلمون وأصبحت من العادات المألوفة لديهم [1]، كما احتفل النصارى بالطفل عند بداية ظهور أسنانه [2].

وقد ذكر كمال أبو مصطفى نقلا عن الونشريس احتفال أهل الذمة بعيد الربيع (النيروز)، الذي يمثل أول يوم من السنة الشمسية الفارسية [3].

كما احتفل اليهود بعيد العنصرة ويمثل هذا العيد الأسابيع التي أنزل الله تعالى على بني إسرائيل الفرائض المتضمنة الوصايا العشرة المنسوبة إلى "موسى عليه السلام"، زد إلى ذلك عيد المهرجانات وهذا أول أيام الشتاء، وكان الناس يتبادلون الهدايا، واعتادوا فيه على تغيير الفرش والأدوات المنزلية [4].

(1) محمد شريف سيدي موسى: المرجع السابق، ص 131.
(2) إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 114.
(3) كمال أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 46.
(4) شرقي نوارة: المرجع السابق، ص 164.

5) الملابس:

تستطيع الملابس والأزياء المختلفة أن تعكس الكثير من الحقائق، فهي على مستوى الفرد تعكس مستوى ثقافة ومهنة وعمره ومستواه الاقتصادي، أما على المستوى العام التاريخي فهي تستطيع أن تعكس ملامح الحضارات المختلفة فالملابس والأزياء هي في حقيقة الأمر اللغة المرئية التي يستطيع من خلالها الباحث رسم ملامح كاملة لفرد أو طبيعة الشعب أو العصر بكامله. وفي الحقيقة أن هناك صعوبة للباحث في تحديد نمط اللباس أبناء المغرب لأنه كان متميزا ومنعزلا ومتصل مع شعوب وأمم أخرى[1].

ويذكر كمال أبو مصطفى نقلا عن الونشرسي عن بعض أزياء أهل المغرب في العصر الإسلامي، فذكر أن ملابس الرجال: الجبة المِلَفْ والدراعة والسروال والغَفَارَةُ والمَحْشُو، ومن ثيابهم ثوب رومي كان يلبس في الشتاء ليقي البرد يسمى " الدرندين" ويصفه الونشريسي بأنه لباس مقتصد لا إسراف فيه، ينتفع به في الوقاية من برد الشتاء القارص[2].

وكان التطور الذي شهدته الدولة و الاحتكاك الذي كان بين المغرب والأندلس سبب في تغيير آراء الكثيرين وانغماسهم في ملذات الدنيا ومتاعها، ومنها لباس المخملي فلبسوا الفِرَاءْ و القْبَاطِي والبرانس الغالية الثمن،[3] حيث كان الإمام المهدي بن تومرت يرتدي برنوس وكان

(1) خالدي عبد الحميد : العلاقات الثقافية بين المشرق والمغرب الأوسط من الفتح إلى نهاية الموحدين، (50هـ -6هـ/ 670م-1266م)، أطروحة دكتورا في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2007-2008، ص 68.

(2) كمال أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 47-48.

(3) شرقي نوارة: المرجع السابق، ص 190.

يفرشه على الأرض عند تعليمه لطلبته حيث يقول البيدق: " وفرش له البرنوس فلما رآه إسماعيل قد فرش برنوسه لطلبته، قال له: يا أخي كيف تفرش البرنوس لنور العلم، النور لا يكون إلا على النور، فأزال من عليه كسائه وفرشها وقال: أقعد أنت أحق بها مني".[1]

وعند إقامة ابن تومرت في بجاية منع انتعال الأقراق ذات السيور المذهبة والتعمم بعمائم، وحرم على الرجال ارتداء الجلابين والتزين بزينة النساء[2].

كما وجدت المصامدة وهم القبائل المؤسسة للدولة وغالبية سكان المنطقة ملابسهم من الصوف و يحتزمون في أوساطهم بمآزر صوف ويسمونها أسفاقس مع ترك رؤوسهم عارية، وقد حث ابن تومرت أتباعه على التقشف في ارتداء الملابس والاقتصار على القصير من الثياب القليل الثمن، وضرب لهم المثل في ذلك حين ارتدى عباءة مرقعة زهدا في الغالي من الثياب.

وقد اقتدى به خلفيته عبد المؤمن، فكان يلبس ثياب الصوف المكونة من قميص وسروال وجبة وذلك بالرغم من اتساع سلطانه وأمواله الكثيرة غير أن هذا التقشف والزهد في ارتداء الملابس الغالية لم تستمر عقب الخلفية عبد المؤمن، إذ أقبل أفراد الشعب ورجال الدولة على ارتداء الملابس الحريرية المطرزة، وقد غالوا في ذلك مما دفع الخلفية المنصور الموحدي بإصدار أمر ببيع ما في خزائن الدولة منها، وطلب الرعية يتخفيف من ارتداء هذه الملابس مع التقليل من تطريزها « أما هو فقد ارتدى، الملابس الصوفية، فكانت الغفائر الزبيبة والبرانس المكسية بخلفاء الموحدين،»[3] « وكان المنصور منع باقي الرعية بالتزين بمثل أزياء الخلفاء حفاظا على مكانتهم »،« وتفشي في هده لبس الديباج المذهب، وتكلف الأعيان كثيرا في

(1) أبي بكر بن علي الصنهاجي المكني بلبيدق: المصدر السابق، ج1، ص 33.

(2) الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج2، ص207.

(3) حسن على حسن: المرجع السابق، 440-441.

لباسه، فأمر بإخراج ما كان في المخازن من ضروب ثياب الحرير والديباج المذهب فبيعت منه ذخائر لا تحصى بأثمان لو توفي ولم تستقصر »[1]

أما جنود الموحدين فقد أشار ابن صاحب الصلاة إلى نوع الثياب التي كانت توزع عليهم من قبل الخلافة ففي سنة 558هـ/1162م، وزع الخلفية عبد المؤمن على جنوده الثياب والكساء والعمائم والبرانس[2]، وقد انتقلت العمامة إلى المغرب الإسلامي مع مجيء العرب الفاتحين أي أنها لباس أصيلا بالمنطقة، وهي عبارة عن شريط مستطيل من القماش ملفوف حول الرأس[3]، وإذا كان هذا زي العلماء والفقهاء فإن المتصوفون كانوا يتقشفون في ملبسهم فيرتدون ملابس خشنة، حيث كانوا يلبسون في الصيف الدراعة من قطن مصبوغة وعمامة قصيرة على الرأس، ويرتدون في الشتاء بجانب هذا اللباس براعة ثانية من القطن[4]، أما زي النساء في المغرب، فقد أشارت النوازل إلى ثياب الحرير والكتان والقطيفة، وكان يلبسنا في أقدامهن الجوارب والأخفاف، وشاعت لدى نساء المغرب لبس النعال أو الخفاف التي تحدث صوتا أثناء المشي، هما يجذب انتباه الرجال إليهن [5].

(1) ابن العذاري المراكشي: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص187-174.

(2) حسن علي حسن: المرجع السابق، ص441.

(3) الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج2، ص293.

(4) جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، المرجع السابق، ص178.

(5) كمال أبو مصطفى: المرجع السابق، ص49.

كان الأندلسيون على جانب كبير من الأناقة والترتيب في ملابسهم، فهناك الملابس الخاصة بالمناسبات الرسمية كالأعياد وغيرها، حيث لبسوا الطلسان وهو عبارة عن ثوب موصول بغطاء الرأس، كما لبسوا غفائر الصوف ويضعونها تحت القلانس، والغالب عليهم ترك العمائم.[1]

كما دخل *زرياب (ت- 23هـ) عادات جديدة فاللباس، وعلمهم أن يلبسوا ملابس بيضاء من أول شهر يونيو، وفي الربيع ملابس حريرية، حيث لكل فصل لباس خاص به حيث قال: « فإنه رأى أن يكون ارتداء الناس للباس البياض وخلعهم للملون من يوم مهرجان أهل البلد المسمى عندهم بالعنصرة، ويلبسون بقية السنة الثياب الملونة "[2].

أما لليهود فيبدوا أنهم طيلة العصر ألمرابطي ومنتصف العصر ألموحدي كانوا يلبسون مثلما يلبس المسلمون، ولكن ميزوا في آخر حكم الخليفة المنصور بزي خاص[3] وأرغمهم على ذلك بزي خاص يخالف زي المسلمين[4]، وقد ذكر حسن علي حسن نقلا عن ابن العذاري هذا الزي " فجعل أي المنصور - لهم صفة كحداد تكلي المسلمين أردان قمصهم أطول ذراع في عرض قمص زرق وبرانس زرق وقلانس زرق، وذلك في خمس وتسعين المؤرخة 595 هـ"

(1) عصمت عبد اللطيف دندش: المرجع السابق، ص318-319.

*- زرياب: هو أبو الحسن بن نافع، الملقب بزرياب، مولى أمير المؤمنين المهدي العباس، قال في " المقتبس" زرياب غلب عليه ببلاده من أجل سواء لونه، هو ففصاحة لسانه، وكان شاعرا مطبوعا، وكان ابنه أحمد قد غلب عليه الشعر أيضا، حيث كان تلميذ للموصلي البغدادي، وقد توفي سنة 238 هـ قبل وفاة الأمير عبد الرحمان بأربعين يوما - أنظر أحمد بن المقري التلمساني: نفخ الطيب، تحقيق إحسان عباس، المجلد:03، دار صادر، بيروت، د ط، ج3، 1988، ص140.

(2) الشيخ أحمد بن المقري التلمساني: نفخ الطيب، تحقيق إحسان عباس، المجلد:03، دار صادر، بيروت، د.ط، ج3، 1988، 128.

(3) جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، ص 178.

(4) كمال أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 49.

ويبدوا أن اليهود قد عانوا من هذا الزي معاناة شديدة، ثم توسلوا إلى الخليفة الناصر في تغيير هذا الزي حتى سمح لهم بارتداء ثياب صفر وعمائم صفراء[1].

أما بالنسبة للطبقة العامة فقد لبس بعضهم الأنيق والجميل الثياب واكتفى الفقراء منهم بلبس ما يستر عورتهم ويقيهم الحرّ والبرد وكانت أغلب ملابسهم مصنوعة من الصوف والقطن[2].

(1) حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 143.

(2) شرقي نوارة: المرجع السابق، ص 196.

ومن خلال دراستنا لهذا الفصل نستنتج أن:

اعتبرت الأسرة أهم نواة المجتمع لذلك فإن الزواج كان أهم صلة يجمع بين المرأة والرجل، وكان للزواج قواعد وقوانين حددتها الشريعة الإسلامية وسار وفقها الناس،غير أن الأعراف هي الأخرى كان لها دور كبير في إتمام هذه الخطوة في المغرب والأندلس و كان الزواج غالبا ما يتم عن طريق ما يعرف بالخطبة التي تعد همزة وصل بين أهل العريس و العروس.

وحتى الموت كان له طقوسه في تلك الفترة، فمقابر العامة لم تكن كتلك التي يدفن بها الخاصة والعلماء والفقهاء.

كثرت المجالس العلمية فمنها ما كان يعقده الخلفاء في قصورهم، وكانت هذه المجالس تضم اجل الفقهاء والعلماء و الأمراء وكانت هذه المجالس مجالا واسعا لنشر العلم في المجتمع، وانتشرت في تلك الفترة مجالس الوعظ التي غالبا ما كان يعقدها الزهاد وبعض العلماء والصلحاء.

ومع أن حياة الناس لم تكن سهلة إلا أنهم لم يفوتوا فرصة أو مناسبة إلا واحتفلوا بها، إضافة إلى الاحتفالات الدينية من عيد الأضحى وعيد الفطر وعاشوراء وفي آخر أيامهم احتفلوا بالمولد النبوي الشريف وأعياد دينية أخرى.

ووجدت بعض الاحتفالات العسكرية التي كانت تقام عند تولي خليفة جديدة مقاليد الحكم، أو عند انتصار وغيرها ، كما وجدت احتفالات أخرى احتفل بها أهل الذمة حيث شارك المسلمون أهل الذمة في الكثير من احتفالاتهم على سبيل المثال الاحتفال بليلة ميلاد المسيح عيسى عليه السلام وهي بمثابة عادات مسيحية تأثر بها المسلمون وأصبحت من العادات المألوفة لديهم.

واحتفل النصارى بالطفل عند بداية ظهور أسنانه، ضف إلى ذلك احتفالهم بعيد الربيع (النيروز)، الذي يمثل أول يوم من السنة الشمسية الفارسية.

أما على المستوى العام التاريخي فالملابس تعكس ملامح الحضارات المختلفة هي في حقيقة الأمر اللغة المرئية التي يستطيع من خلالها الباحث رسم ملامح كاملة لفرد أو شعب بكامله، حيث كان اللباس في المغرب الإسلامي تقليدي لا إسراف فيه، ينتفع به في الوقاية من برد الشتاء القارص، وكان للتطور الذي شهدته الدولة و الاحتكاك الذي كان بين المغرب والأندلس سبب في تطور اللباس في المغرب حيث ادخل عليهم زرياب عادات جديدة من الألبسة وهذا حسب المناخ السائد في تلك الاوانة.

أما اليهود كانوا يلبسون مثلما يلبس المسلمون، ولكن ميزوا في آخر حكم الخليفة المنصور بزي خاص يخالف زي المسلمين.

وبصفة عامة فان الطبقة الحاكمة لبسوا الأنيق والجميل أما للطبقة العامة فقد لبس بعضهم الجميل الثياب واكتفى الفقراء منهم بلبس ما يستر عورتهم ويقيهم الحرّ والبرد وكانت أغلب ملابسهم مصنوعة من الصوف والقطن.

.

الفصل الخامس: العمران في المجتمع الموحدي

المبحث الأول: المساجد.

المبحث الثاني: المدارس.

المبحث الثالث: الفنادق.

المبحث الرابع: الحمامات.

5/ العمران في عهد الموحدين:

في عهد الموحدين شهدت الكثير من المدن المغربية والأندلسية ازدهارا كبيرا،حيث أدخلت عليها الكثير من التعديلات وأقيمت بها العديد من المنشات الجديدة ومن أهمها المساجد والمدارس والحمامات، فعبد المؤمن بن علي اهتم كثيرا بعملية البناء والتشييد غير أن هذه العملية لم تقتصر على عبد المؤمن فقط، بل بقيت عالية عند خلفاء بن عبد المؤمن وما بعده، فابنه أبو يعقوب يوسف واصل على نهج أبيه، ولما جاء المنصور عرفت حركة البناء والتشييد دفعا جديدا وازدهارا كبيرا طوال فترة خلافته[1] ومن بين هذه المنشات نجد :

1. المساجد:

قامت دولت المرابطين والموحدين على أساس دعوتين دينيتين، دعوة ابن ياسين، ودعوة ابن تومرت، وكان اهتمام ولاة الأمر المرابطين والموحدين في بناء المساجد وتعميرها باعتبارها مركز الإشعاع الفكري للدعوة المرابطية والموحدية، فرضا عن تأدية الفروض وتنفيذ تعاليم الدين.

وقد شهدت العاصمة مراكش اهتماما بالغا بإنشاء المساجد فيها والعناية بها. وعندما شرع أمير المسلمين يوسف بن تاشفين في بناء العاصمة بدأ في بناء مسجدها الكبير، ولما تولد ابنه علي بن يوسف اهتم بالزيادة في البناء، فبني مئذنة وقد كلف تلك سبعين ألف دينارا[2] .

عند استلاء الموحدين على العاصمة مراكش، استشار الموحدون الفقهاء في موقفهم من مساجد المرابطين، فأفتوهم بهدمها لأنها في رأيهم منحرفة عن القبلة، كما ذكرت لنا شرقي نوارة نقلا عن البيدق " وبقيت مراكش، وذلك بعد أن فتحها الموحدون لم يدخلها داخل ولم

(1) حسين عيساني: المرجع السابق، ص 112.

(2) حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 396-397.

يخرج منها خارج ثلاثة أيام وامتنع الموحدون أن يسكنها وذلك لتشريق مساجدها عن القبلة المستقية التي لا عوج فيها ولا تحريف لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، والتشريق لغيرها من اليهود وغيرهم " إذ هدمت جوامعها لأجل تشريقها وتحريفها عن القبلة[1] ، " وبذلك قاموا بتهديم أغلب المساجد المرابطية لأن الفقهاء أفتوا بعدم جواز الصلاة فيها لانحرافها عن القبلة[2].

ومن أهم المساجد التي برزت كمعالم حضارية في عهد الموحدين سواء بالمغرب أو الأندلس نجد:

أ) جامع الكتبيين:

كان بناءه على يد المؤمن بن علي سنة (553هـ/1157م) في مراكش، وقد أقيم هذا المسجد على أنقاض مسجد المرابطين، حيث يذكر حسين عيساني ان المقري يصف جمال هذا المسجد بقوله: " أمروا " أي الموحدين ببناء المسجد الجامع بحضرة مراكش، فبدأ في بنائه بتأسيس القبة في العاشر من شهر ربيع الأخر سنة 553هـ، وكمل منتصف شعبان ومحرم من العام المذكور، على أكمل الوجود و أغرب الصنائع.[3]

وقد سمي بجامع الكتبيين نسبة إلى باعة الكتب الذين كانوا يروجون بضاعتهم بجانب المسجد، ثم أمر المنصور الموحدي في سنة 591هـ ببناء مئذنة كبيرة وجعل طولها مائة ذراع وعشرة أذراع بالصنع الأنيق.[4]

(1) شرقي نوارة: المرجع السابق، ص 293.

(2) حسين عيساني: المرجع السابق، ص 119.

(3) نفسه: ص 121.

(4) حسن علي حسن: المرجع السابق: ص 398.

ب)جامع حسان بالرباط:

كان هذا المسجد من بين المنشآت التي أنجزت في عهد أبي يوسف يعقوب المنصور[1] الذي أمر ببنائه في مدينة رباط الفتح، فيما يتعلق بأمر الابتداء في تشييد هذا الجامع فلا تستطيع أن نجزم بذلك حيث نرى رواية نذكر أن المنصور لما جاز إلى الأندلس لغزاة الأرك سنة 591هـ أمر ببناء جامع حسان ومنارة، حيث ابن تذكر لنا ليلى أحمد نجار إشارة العذارى إلى وجود المنصور في مدينة *رباط الفتح في سنة 590هـ فيقول: " ووجه رباط الفتح عن ولاة الأندلس ليودعوا على أشغالهم "[2]، " ولما وصل المنصور إلى اشبيلية ورجع من حينه فمشى إلى الجامع الكبير وخطب أبو علي ابن حجاج، وهي أول جمعة قرئ بها في الأندلس من السنة " [3] إلا أن احتمال تاريخ البدء في بناء هذا الجامع هو 590هـ/1193م، وأن العمل توقف في سنة 594هـ/1198م، حسب ما ذكره المراكشي في أواخر عهد الخليفة المنصور، إذ لم يكمل بناء هذا الجامع إلا في عهد إبنه الناصر فيما بعد، وتبلغ مساحة هذا الجامع نحو 180 ×140 متر، وارتفاع جدرانه تسعة أمتار، وعدد أبوابه 16 عشر. بينما أعمدة المسجد مختلفة الارتفاع ما بين ثلاثة أمتار وربع إلى ستة أمتار، ويتألف بيت الصلاة فيه من قسمين:القسم الأول يشتمل على 21 بلاطة عمودية على جدار القبلة، أما القسم الثاني من المسجد فيشتمل على ثلاثة أساكيب تمتد بعرض المسجد كله، أما منارة هذا الجامع فاشتهرت باسم منارة حسان،

(1) حسين عيساني : المرجع السابق: ص 121.

* رباط الفتح: تقع على ضفة الجنوبية لوادي أبي الرقراق عند مصبه لمدينة سلا، ويعود الفضل في إنشائها إلى الموحدين، ففي سنة 545هـ جعلها عبد المؤمن معسكرا لتعبئة جيوشه للجهاد- أنظر ليلى أحمد نجار: المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي، رسالة دكتورة في التاريخ الإسلامي القسم الثاني، المملكة العربية السعودية – جامعة ام القرى، د ط ، 1984،ص541.

(2) ليلى أحمد نجار: المرجع السابق: ص 560.

(3) ابن العذاري: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص 218.

ولعله نسبة إلى اسم المهندس الذي قام بتشييدها، حيث يصل ارتفاعها الحالي نحو الأربعة و أربعين مترا وشيد بالحجر المصقول.[1]

ج) **جامع القرويين بفاس:** يعتبر من أشهر مساجد فاس التي قامت بدورها كمعهد للتعليم، وضع حجم أساسه عام 245هـ/859م، ليكون دار فقه وعلم، واهتم المرابطون ومن بعدهم الموحدون بهذه المؤسسة الدينية العلمية، فعلى إثر المؤتمر الذي ضم العلماء والفقهاء استقر الرأي في عام 528هـ/ 1133م،أن يعهد للقاضي محمد بن داوود بأمر إصلاح الجامع وتوسيعه، فقط القاضي بشراء الأملاك المجاورة للجامع من أجل الزيادة في مساحته، فبني فيه الباب الكبير الغربي، وهو باب الشماعين، وجعل للمسجد أبوابا عظيمة، كما تمت الزيادة في صحنه، وعندما توفي هذا القاضي، خلفه الفقيه عبد الحق بن معيشة الذي زاد في الجامع ثلاث بلاطات ومحراب وضع له منبرا جديدا، وجعلت أبواب الجامع كلها مغشاة بالنحاس الأصفر ونقش على القبة والمحراب بالذهب.[2]

كما توجد ساقية متقنة البناء ملاصقة له ماؤها من الوادي وجلب لها ماء عين هو في أيام الحر في نهاية البرودة، وصنعت فوارة مرتفعة نصف قامة داخل الحصن[3] أما المنبر، فقد أقيم على يد القاضي أبي محمد، حيث صرف على صناعته ثلاثة آلاف دينار وثمانمائة دينار

وسبعة أعشار دينار فضة، وكان له غطاء أحدهما من جلد الماعز والثاني من الكتان، وقد اكتمل صنعة في شهر شعبان سنة 538هـ وهو من أجمل منابر الإسلام.[4]

(1) حسين عيساني :المرجع السابق ، ص 561.

(2) جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين، المرجع السابق، ص 273-274.

(3) ليلى أحمد نجار: المرجع السابق، ص 563-564.

(4) حمودي عبد المنعم محمد حسن:المرجع السابق،ص366.

د) جامع القصبة الكبير اشبيليا:

يعد هذا المسجد من أهم ما خلفه الموحدين من آثار ، و المسجد أمر بإنشائه أبو يعقوب يوسف الموحدي سنة 567هـ/1171م، وذلك أثناء إقامته بها، وكان سبب بناء هذا المسجد وان جامع اشبيلية المعروف باسم جامع بن عبديس قد ضاق بمصليه ، حتى راحوا يصلون في الأفنية والحوانيت بجانب المسجد، وافتتح الجامع رسميا على يد والي اشبيليا أبو إسحاق إبراهيم بن الخليفة أبو يعقوب يوسف وكان ذلك سنة 580هـ/1184م[1] .

وكان يتألف من طابقين الطابق الأول تعلوه فتحات النواقيس، والطابق الثاني برج صغير الحجم يعلو البرج الأدنى في امتداد نواته الداخلية وفوقه قبيبة مقرمدة، وتشمل النواة الداخلية للمئذنة على سبع غرف مربعة الشكل الواحد منها فوق الأخرى، خمسة منها مسقوفة بقبوات نصف كروية، أما القبويان العلويتان فمتعارضتان، ويتراوح ارتفاع كل غرفة ما بين 6,30 إلى 4,90 مترا، وقد أثارت هذه المئذنة إعجاب المسلمين والمسحيين، ولما سقطت اشبيلية في يد النصارى الأسبان 646هـ/1648م، تحولت المساجد التي فيها كنيسة سَانتَا مَارِيَا [2] واشتهرت كذلك في العصر الموحدي بعض المساجد التي جلس فيها العلماء لإلقاء دروسهم منها مسجد زِقَاقْ الرِوَاحْ، وجامع باب السلسلة وغيرها.[3]

2. المدارس:

يعود تاريخ ظهور المدارس إلى القرن الرابع وخاصة في خرسان إلى جانب المدارس النظامية ببغداد، ويعود ظهورها في بلاد المغرب إلى القرن الخامس للهجري، وإلى جانب دورها التعلمي فإنها كانت لمقاومة ما عساه أن يكون قد تبقى من التشييع، أو ما تسرب منه إلى التعلم بالقيروان والمهدية، كما أنها لم تكن أقل أهمية من المساجد، فقد اهتم الموحدون بإنشائها

(1) حسين عيساني: المرجع السابق، ص 121-122.

(2) ليلى أحمد نجار: المرجع السابق، ص 556.

(3) جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين، المرجع السابق، ص 275.

خاصة عبد المؤمن قد أنشأ مدرستين منها المدرسة العامة والمدرسة الملكية، وكان يتبع في تدريس الطلبة الصغار في المدرسة العامة على حفظ الكتاب الموطأة، وكان ذلك كل يوم جمعة بعد صلاة العصر داخل القصر، فيجتمع الحفاظ فيه وهم نحو ثلاثة آلاف، كما عملت هذه المدرسة على تخريج المواطنين في الدولة، أما المدرسة الملكية فطبيعي أن يدرس فيها الأمراء أبناء الخلفاء الموحدين.[1] كما اهتم الموحدون ببناء المدارس وأول من فعل ذلك الخليفة عبد المؤمن بن علي بنا مدرسة ملحقة بقصره لتخريج الحفاظ[2]، حيث تقول حكيمة إملولي نقلا عن الحسن الوازن: « ولعلها شيدت في عهد يعقوب بقصبة مراكش، وهي أشبه بمؤسسة إذ يلحق بها مساكن للطلاب، وتشمل على ثلاثين غرف، وفي الطابق الأرضي قاعة كانت تلف فيها الدروس الماضي، وكان التلميذ في هذه المدرسة يعفي من المصاريف، وكان الأستاذة يتقاضون راتبا شهريا فيها بين مائة ومائتين دينار حسب طبيعة الدروس التي يقومون بها.[3]

أما في عهد المنصور الموحدي فإنه بنا عدة مدارس في أنحاء متفرقة من البلاد، حيث يقول حسن علي حسن نقلا عن ابن أبي زرع: « وبنا – أي المنصور الموحدي المساجد والمدارس في بلاد افريقية والمغرب والأندلس »، ومن هذه المدارس مدرسة المهدية بمدينة المهدية، أما الناصر الموحدي فقد بنا عشرين مدرسة [4].

(1) حكيمة إملولي: الأشكال النثرية في الأدب المغرب القديم"العهد الموحدي نموذجا " رسالة ماجستير في الأدب المغربي القديم، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة الحاج لخضر – باتنة 2008-2009،ص 21.

(2) حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 401.

(3) حكيمة إملولي: المرجع نفسه ، ص 22.

(4) حسن علي حسن :نفسه ،ص401.

وبالنسبة لنظام بناء المدارس فكانت من طابقين وفي وسطه صحن مكشوف فيه فسقيه أو حوض ماء، وكانت بعض المدارس متصلة بالمساجد المجاورة لها بينما كان البعض الآخر مستقلا، ويضاف إلى أنها كانت تشتمل غالبا عدة عزف و على قاعة كبيرة للدرس.[1]

ازدهرت المدارس بالمعارف في عهد الموحدين وذلك بما أنشئوه من معاهد مدارس في إفريقيا عامة والأندلس خاصة.

(1) حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 401.

3 . الحمـامات:

انتشرت الحمامات في أجزاء متفرقة من البلاد، ووجه ولاة الأمر اهتمامهم ببناء الحمامات وقد ظهر ذلك حين دخل يوسف بن تاشفين مدينة فاس فإنه أمر ببناء الحمامات[1] حيث يذكر حسين عيساني نقلا عن البكري: « أن عدد الحمامات في فاس في عصر المرابطين 20 حماما، ثم أعداد هذه الحمامات كان يستخدمها الناس بفاس تزداد حتى بلغت في عصر الموحدين ثلاث و سبعين حماما » كما بنيت في مراكش عشرات الحمامات [2].

وقد أنشئت لخدمة العامة من سكان المدينة، ولسد حاجات وظيفية مرتبطة بدعوة الإسلام للنظافة و التطهر ولعدم قدرة العامة من سكان المدينة تضمين منازلهم حمامات خاصة، هذا إلى جانب احتواء مدينة فاس على العديد من الحمامات الخاصة بأهلية القوم، حيث كان لغالب أغنياء أهل فاس حمامات في بيوته [3].

فلما قامت دولة الموحدين، اهتم الموحدون ببناء الحمامات، وقد أنشأ الكثير منها في عهد الناصر الموحدي حيث تذكر ليلى أحمد نجار نقلا عن عبد الرحمان بن أبي بكر: « و بني – أي الناصر الموحدي من الحمامات ثلاثا وتسعين وثلاثة مائة » وهو رقم يبدو عليه طابع المبالغة أما مدينة مكناسة فكان عدد الحمامات بها في عهد الموحدين ثلاث حمامات حيث تذكر ليلى أحمد نجار نقلا ابن غازي: « وكان بهذه المدينة في أيام الموحدين ثلاث حمامات البالي والجديد والصغير وهي باقية لهذا العهد وفي سنة 587هـ/ 1191م أشارت في رواية معاصرة بوجود حمامات بقابس[4].

أما النظام المتبع في بناء الحمامات، فكان قوام الحمام قاعة رئيسية لخلع الملابس وفيها قبة تقوم على أعمدة، وهناك قاعتان أخريتان احدهما للماء المتوسط الحرارة والآخرة للماء الحار

(1) حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 402.
(2) حسين عيساني: المرجع السابق، ص 75.
(3) جمال أحمد طه: المرجع السابق، ص 173.
(4) ليلى أحمد نجار: المرجع السابق، ص 551.

أما سقف كل منهما فكان على هيئة قبو نصف اسطوانية، وفيها فتوحات صغيرة ينفذ منها الضوء[1].

ولم تقتصر أهمية الحمامات على كونها مؤسسة لنظافة البدن فقط، بل له معاني ودلالات اجتماعية وإن مكانة الحمامات على جانب من الأهمية في عمليات شفاء المرضى من بعض الأمراض.

لذا كان من عادة الفقهاء والعلماء وعامة أهل المغرب الذهاب إلى هذه الحمامات بصفة مستمرة[2].

4. الفنـــــادق:

ارتبط بناء الفنادق بالحركة التجارية بالبلاد، حيث قامت الفنادق بدور كبير في الحياة الاقتصادية بالمغرب، إذ بجانب وظيفتها الأساسية في إيواء الغرباء التجار الوافدين على البلاد، كانت مخزن ومكانا لبيع السلع والمواد التجارية المختلفة[3]، حيث توفر خدمة للتجار اللذين ينتقلون من بلد إلى أخر للبيع والشراء، وتوفر له في هذه الأماكن قدر من الراحة والحياة الطيبة، فضلا عن الأمن والسلامة لذا نجد هذه المؤسسات مكتملة المرافق من حيث الأماكن المخصصة لخزن البضائع و إيداع الأموال وأماكن أخرى لراحة والنوم [4]، كما ساهمت الفنادق في إيواء المنقطعين وعابري السبيل [5].

وقد اهتم ولاة الأمر بالمغرب الأقصى بإنشاء العديد من الفنادق في أنحاء متفرقة من البلاد، ومن ذلك ما أمر به أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ببناء الفنادق بمدينة فاس

(1) حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 403.
(2) جمال أحمد طه: المرجع السابق، ص 174.
(3) حسن علي حسن: المرجع نفسه، ص403.
(4) جمال أحمد طه: ، ص 175.
(5) حسين عيساني: المرجع السابق، ص 75.

سنة 462هـ/1070م، حيث يقول ابن أبي زرع: « وبنا الحمامات والفنادق والأرجاء وأصلح أسواقها وهذب بناءها .... ».

كذلك تأسست عدة فنادق بمدينة مراكش، وذلك حين أمر الخليفة المنصور الموحدي بإنشاء العديد من الفنادق والأسواق والتي قصدها التجار من كل ناحية.

أما في عهد الناصر فقد بلغ عدد الفنادق سبعة وستين وأربع مائة والتي أنشئت للتجار وهذا ما يشير إلى ارتباط حركة بناء الفنادق بالنشاط التجاري بالبلاد ومدى ازدهار الذي شاهدته البلاد.

وكان الفندق يقسم إلى عدة أمكنة، فهناك مكان للنوم والراحة وأخر لعقد الصلات التجارية من عقود بيع وغيرها[1] .

(1) حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 403-404.

ومن خلال دراستنا لهذا الفصل نستنتج أن:

المدن المغربية والأندلسية شهدت في فترة حكم الموحدين ازدهارا في العمران، حيث أقاموا العديد من المنشات الجديدة، كالمساجد والمدارس والحمامات، كما اهتم عبد المؤمن بن علي بعملية البناء والتشييد، وتبنى هذه العملية خلفاء بني عبد المؤمن وما بعده.

الموحدون اهتموا ببناء المساجد نضرا للطابع الديني الذي كان يسود الحيات العامة في البلاد، ولأن الدولة قامت على أساس الدعوة الدينية، واعتبروا المساجد كمركز إشعاع فكري، وشهدت العاصمة مراكش اهتماما بالغا في إنشاء المساجد، كما هدموا بعض المساجد المرابطية وأعادوا بنائها، ومن أهم هذه المساجد نذكر جامع الكتبيين، وجامع حسان بالرباط، وجامع القرويين بفاس، وجامع القصبة الكبير اشبيليا، وكان العلماء والفقهاء يلقون دروسهم في هذه المساجد.

الموحدون انشئوا المدارس وهي لم تكن اقل أهمية من المساجد، والتي لها دور في التعليم، حيث قام عبد المؤمن بإنشاء مدرستين المدرسة العامة والمدرسة الملكية، درسوا فيها الطلبة الصغار، وتخريج موظفي الدولة، وازدهرت المدارس بالمعارف في عهد الموحدين لما أنشئوه من معاهد ومدارس.

الحمامات انتشرت في أجزاء متفرقة من البلاد، واهتم الولاة ببناء الحمامات خاصة في فاس ومراكش، حيث أنشأت لخدمة العامة من سكان المدينة، كما كان لأغنياء أهل فاس حمامات في بيوتهم، ولم تكن أهمية الحمامات تقتصر على كونها مؤسسة لنظافة البدن فقط، بل لها معاني ودلالات اجتماعية، كما كان لها أهمية في عمليات شفاء المرضى.

الموحدون قاموا ببناء الفنادق، وارتبطت بالحركة التجارية بالبلاد، وبجانب وضيفتها الأساسية في إيوائها الغرباء والتجار الوافدين على البلاد، كانت مخزنا ومكانا لبيع السلع والمواد التجارية المختلفة، وقد اهتم ولاة الأمر بالمغرب الأقصى بإنشاء العديد من الفنادق في أنحاء

متفرقة من البلاد، وكل هذه المنشأة ساعدت في ازدهار الاقتصاد والرقي الحضاري للدولة الموحدية خاصة من جانب البناء والعمران.

خاتمة

الخـــاتمـة :

بعد دراستنا للحياة الاجتماعية بالمغرب الإسلامي خلال عصر الموحدين استطعنا التوصل لعدة نتائج من بينها:

قيام دولة الموحدين، التي تمكنت من بسط نفوذها على مناطق شاسعة بالشمال الإفريقي ونتج عن قيامها في الميدان الاجتماعي اثر في توزيع العناصر السكانية على المدن والأرياف والحواضر ، حيث حل المصامدة مكان قبائل صنهاجة في المدن ، كما سكنت بعض القبائل البربرية الحواضر الأندلسية، وانتشرت القبائل العربية في أراضي المغرب الإسلامي ، ورغم تسببها ببعض الفوضى إلى أنها شكلت عنصرا هاما في جيش الموحدين .

تعايش أهل الذمة إلى جانب غيرهم من طبقات المجتمع ، في ضل حماية القيادة العليا للبلاد ، في جو من التسامح في أوساط المجتمع الموحدي .

استحداث الموحدون لطبقة الطلبة الذين اشتغلوا بمذهب المهدي بن تومرت ، وقلصوا من نفوذ وصلاحيات الفقهاء والعلماء في دولتهم ، حيث نالت هذه الطبقة مكانة مرموقة لكن ريثما استرجع الفقهاء والعلماء مكانتهم عند الخلفاء بعد استقرار الدواة الموحدية .

ظهور الكثير من الصالحين في المغرب الأقصى ، الذين اتخذوا التصوف منهجا لحياتهم وكانوا يسمون المتصوفين، حيث تركوا بصماتهم على صفحة الحياة المغربية.

شدة الأزمات على الطبقة العامة ، وكثر بينهم المتسولون وعانوا من التهميش ، حيث كانوا يحاولون كسب عطف الناس للحصول على بعض الأموال والمساعدة لكسب قوتهم رغم قدرة البعض منهم على العمل .

اعتبار الزواج بمثابة نواة الأسرة ،حيث تكونت هذه الأخيرة من الزوج والزوجة وأبنائها ، كما شاع في عهد الموحدين الزواج بالنصرانيات، وكان للزوج أن يتزوج بأكثر من واحدة طبقا للشريعة الإسلامية.

اختلاف وضع المرأة في عهد الدولة الموحدية عن نظيرتها المرابطية ، التي نالت قسط وافر من التحرر والاختلاط بالرجال في الأماكن العامة والمناسبات، حيث لم تمنح الحرية المطلقة في عصر الموحدين لالتزام الدولة بالأحكام الشرعية ، لكنها نالت التقدير والاحترام ومكانة طيبة من طرف ولاة الأمر، ولم تعرف أي نشاط سياسي إلا في أواخر عهد الدولة .

أن أهل المغرب عاش عادات وتقاليد موروثة، وبعضها استحدثت لظروف سياسية ودينية، ولعبت المجالس دورا كبيرا في نشر الثقافة بين أوساط الناس، كما استعملت لأغراض سياسية تخص أمور الدولة، ولم تكن هذه المجالس تميز بين طبقات المجتمع وإنما حظرها جميع أصنافها.

المغاربة كانوا في عهد الموحدين يقيمون العديد من الاحتفالات في مناسبات مختلفة، منها الدينية والاحتفالات العسكرية، كما كان لأهل الذمة أعيادهم الخاصة.

نوع اللباس يعبر عن الفئة والطبقة التي ينتمي إليها صاحبها، وكانوا في عهد المهدي يلبسون البسيط منها كما أمرهم بذلك، وبعد استقرار الدولة لبسوا الثياب الغالية والأنيقة.

اهتمام الموحدون بالعمران وبرزوهم في هذا المجال لما أنشئوه من المساجد وتفننوا في بناءها وروعة جمالها، كما أنشئوا المدارس والحمامات والفنادق، وهذا ما يبرز لنا ارتقائهم في مجال العمران، وتركوا تاريخ حضاري لا تزال آثاره ليومنا هذا.

هذه الفسيفساء الاجتماعية المختلفة العناصر والطبقات البشرية شكلت جملة من نمط حياة مميز، أثرت بشكل كبير على مجتمع المغرب الإسلامي، والحيات اليومية بين عناصر بشرية تختلف عرقيا ودينيا ولغويا، من ما انشأ دولة ذات حضارة برزت بقوة في شمال إفريقيا.

الملاحق

الملحق رقم:01

مئذنة الموحدين

حسين عيسا ني ،دور الأوقاف الإسلامية وأثارها الاقتصادي والاجتماعي في الحضارة الإسلامية في عهد المرابطين والموحدين (448هـ-668هـ)(1056م-1269م)،مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في العلوم الإسلامية ،كلية العلوم الإسلامية ،قسم اللغة والحضارة العربية الإسلامية ،جامعة الجزائر ،2011م-2012م،ص159 .

الملحق رقم :02 .

منظر لبقايا جامع حسان بالرباط

حسين عيسا ني ،المرجع السابق ،ص 158 .

الملحق رقم:02.

جامع الكتبية في مراكش

حسين عيسا ني،المرجع السابق،ص157.

الملحق:04.

خريطة لدولة الموحدين

شوقي أبو خليل، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الفكر، دمشق سورية، ط1، 2005، ص79.

الملحق رقم 05:

توزيع القبائل العربية ببلاد المغرب

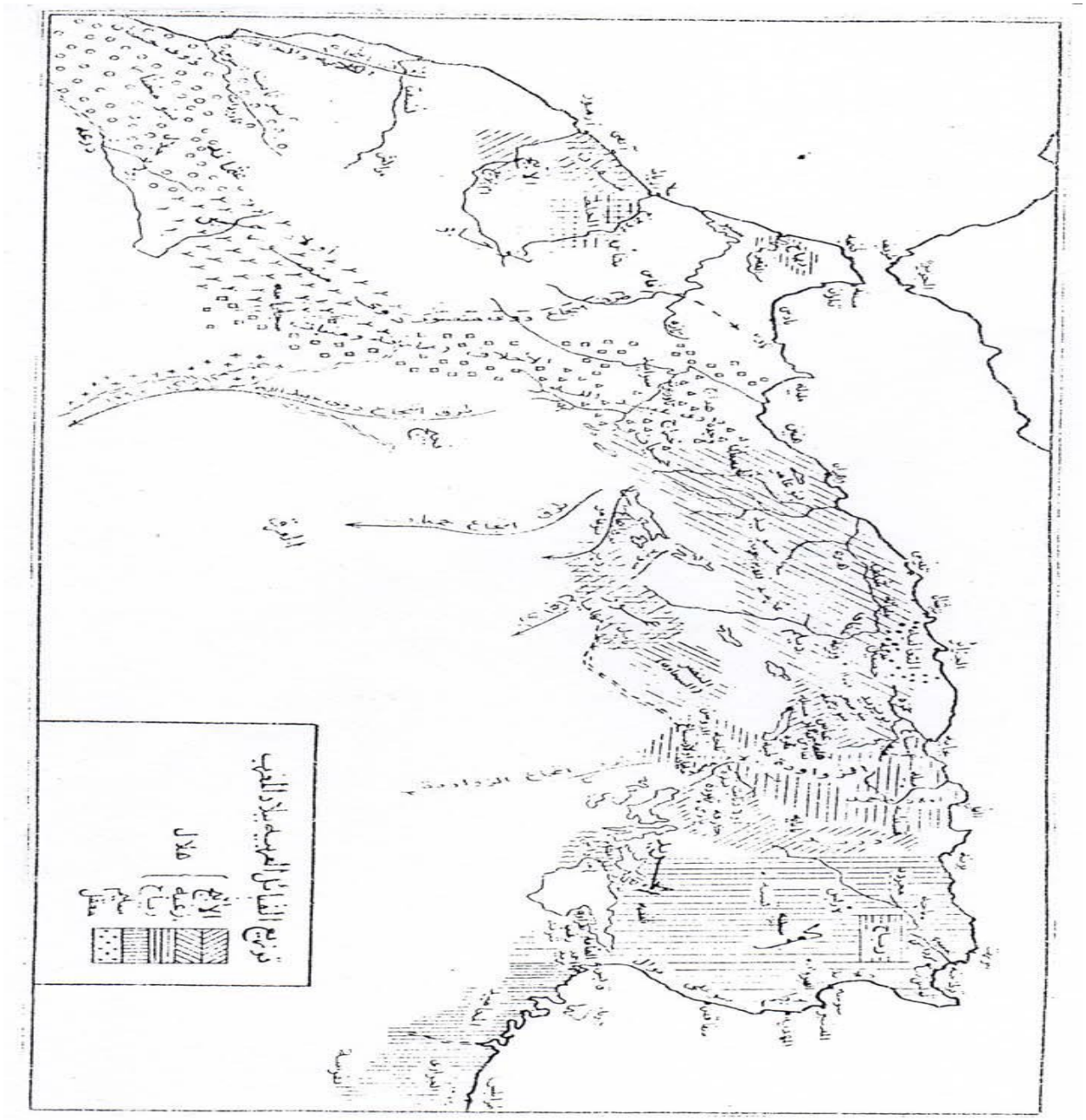

شرقي نوارة، الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين (524هـ-667هـ) (1126م-1267م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،قسم التاريخ،جامعة الجزائر،2007م-2008م،ص286.

الملحق رقم 06:

توزيع القبائل البربرية ببلاد المغرب

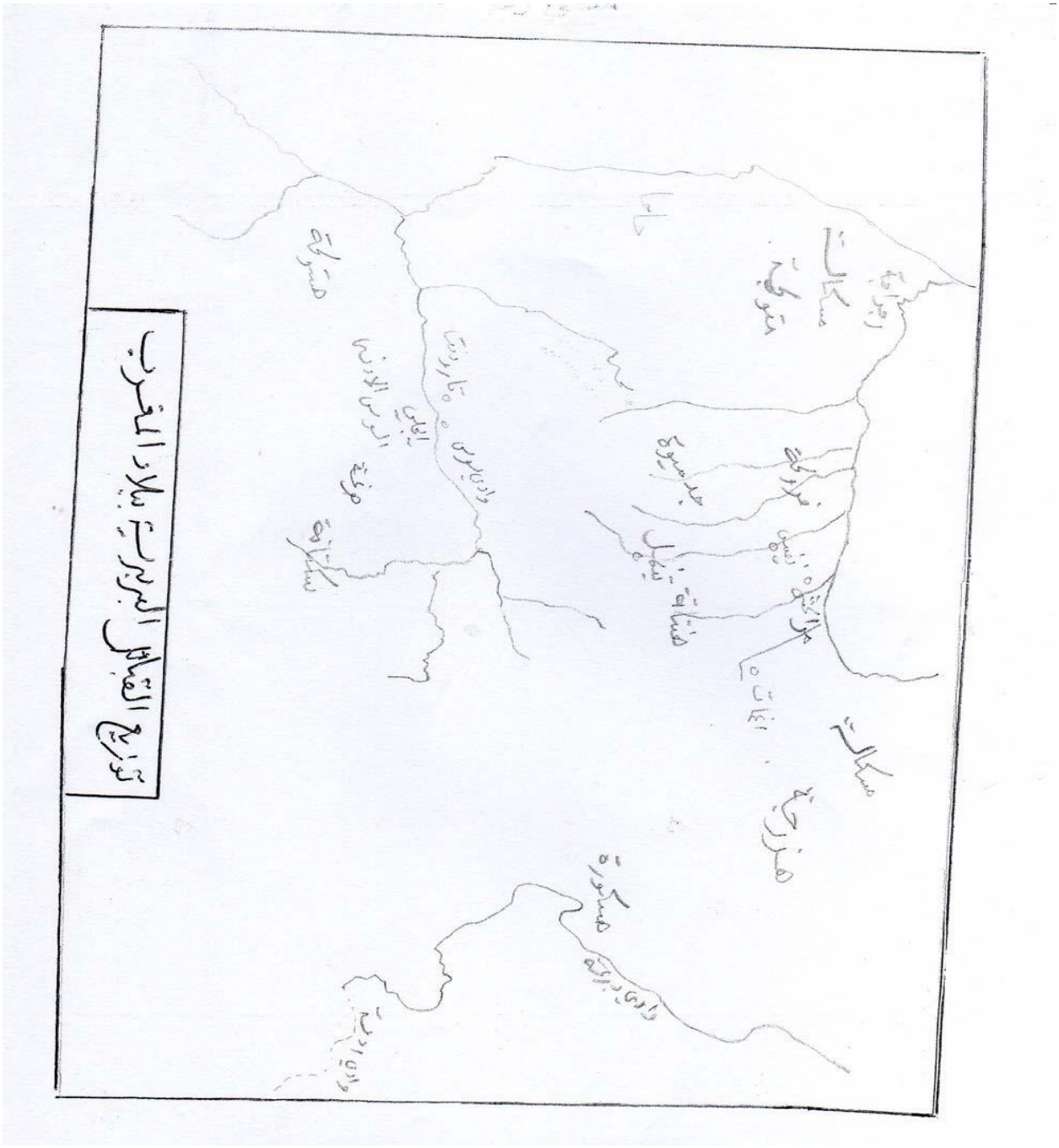

شرقي نوارة،المرجع السابق،ص288.

الملحق رقم 07:

خريطة جبل طارق

شرقي نوارة، المرجع السابق ص289.

الملحق رقم 08:

منارة مسجد اشبيليا–لاخرالدا

شرقي نوارة، المرجع السابق، ص292.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

I. قائمة المصادر:

1) ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق محمد الهاشمي، الفيلالي، الرباط، ج6، د ط ، 1936م .**

2) ابن الأثير: **الكامل في التاريخ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ج 10، ط4 ، 2003م.**

3) أحمد بن المقري التلمساني: **نفخ الطيب، تحقيق إحسان عباس، المجلد،03، دار صادر، بيروت، د ط، ج3، 1988م.**

4) الإدريسي: **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق الحج صادق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ج1، د ط ،1983م.**

- القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط ،1984م.

5) أبي بكر الصنهاجي المكني بالبيدق : **المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق عبد الوهاب المنصور، دار المنصور للطباعة و الورق ، الرباط ، ج1 ، د ط ،1971 م.**

6) ابن العذارى المراكشي: **البيان المغربي في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د ط ، 1985م.**

7) ابن خلدون: **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ الغرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ج6، د ط ، 2000م.**

II. قائمة المراجع:

1) بوتشيش إبراهيم القادري : **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1995م.**

- الحياة الاجتماعية للمغرب الأقصى في العصر الإسلامي (عصر المرابطين والموحدين)، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2004 م.

2) دندش عصمت عبد اللطيف : **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين (عصر الطوائف الثاني) 510 هـ -546هـ /1116-1151م ، دار الغرب الإسلامية، بيروت- لبنان، ط1، 1988م.**

3) حسن علي حسن: **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس "عصر المرابطين والموحدين"، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ط1، 1980م.**

4) طه أحمد جمال ، **مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين (448/ 1056م_ 668هـ/ 1269م)، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2002م.**

5) السائح الحسن: **الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط2، 1986م.**

6) العبادي أحمد مختاري: **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، مصر، د ط .**

7) **علام** علي عبد الله: **دعوة الموحدين في المغرب، دار المعرفة، الرباط ، المغرب، د ط ،1964 م.**

8) عنان محمد عبد الله: **عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، دار النشر القاهرة، الطبعة الأولى، القسم الثاني، د ط، 1974 م.**

9) أبوا الفضل محمد أحمد: **شرق الأندلس في العصر الإسلامي (515-686م) دراسة في التاريخ السياسي و الحضاري، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، د ط، 1996 م.**

10) فروخ عمر: **معالم الأدب العربي في العصر الحديث، دار العلم، بيروت، ط1، 1980م.**

11) الكعاك عثمان: **موجز التاريخ العام للجزائر، العصر الهجري، إلى الاحتلال الفرنسي، القاهرة، د ط ، 1408م.**

12) أبو مصطفى كمال: **جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي ، الناشر لمؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د ط ، 1997م.**

13) مرعى خلف الله ابتسام: **العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي،524هـ - 936هـ/1130-1529 م، جامعة الإسكندرية، د ط ،1985م.**

14) مؤنس حسين: **معالم تاريخ المغرب والأندلس، جامعة القاهرة، د ط ، 2004م.**

15) مرعى خلف الله ابتسام: **العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي،524هـ - 936هـ/1130-1529 م، جامعة الإسكندرية، د ط، 1985م.**

16) موسى عز الدين عمر أحمد: **تنظيمات الموحدين ونظمهم في المغرب، بيروت، لبنان، د ط، فبراير 1969م.**

- **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال (القرن 6 هـ)، دار الشروق القاهرة، بيروت، د ط، 1980م.**

17) النجار عبد المجيد: **تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، ط1، 1995م.**

III. المراجع المعربة:

1) روجي إدريس الهادي: **الدولة الصنهاجية، تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12 م ، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ، د ط، 1992م.**

2) كاربخال لمارمول: **إفريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر وآخرون، دار النشر والتوزيع الرباط ، ج2، د ط، 1988- 1989م.**

IV. الرسائل الجامعية:

1) عبد الحميد خالد : **العلاقات الثقافية بين المشرق والمغرب الأوسط من الفتح إلى نهاية الموحدين، 50هـ -646هـ/670م-1266م، أطروحة دكتورا في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية، 2007-2008م.**

2) عيساني حسين: **دور الأوقاف الإسلامية وأثرها الاقتصادي والاجتماعي في الحضارة الإسلامية، عهد المرابطين والموحدين (448-668هـ) (1056-1269م)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإسلامية، قسم اللغة و الحضارة العربية الإسلامية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2011-2012م.**

3) سيدي موسى محمد شريف: **الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بجاية في عصر الموحدين إلى الاحتلال الإسباني (6هـ/10هـ-12م/16م) أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية، 2009-2010م.**

4) نوارة شرقي**: الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين،(524هـ-667هـ)(1126م-1268م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر،2007-2008م.**

5) نجار ليلى أحمد: **المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، السعودية، ج2 ،1989م.**

الفهارس

الفهارس العامة

فهرس الأعلام

ابن بكر الطرطوشي – **ص**:6.

أبو إسحاق إبراهيم – **ص**:58.

أبو الحسن بن محمد الأزرق العطار – **ص** :33.

أبو العباس إدريس الواثق بالله – **ص**:10.

أبو علي بن حجاج – **ص**:56.

أبو يعقوب يوسف – **ص**:8-9-39-56-58-59.

أبي حامد الغزالي - **ص** :7.

الحجاج بن يوسف بن موسى الكلبي – **ص** :28.

روجي لوتورنو – **ص**:6

زرياب – **ص**: 49.

سعد بن مردنيش - **ص**: 8-34.

صخر بن مسعود - **ص** :33.

طارق بن زياد – **ص**:16.

عبد الله بن ياسين-26-27.

عبد المؤمن بن علي- **ص**:7-8-9-15-16-25-26-41-43-48-54-59.

العزيز المنصور - **ص**:7-8-18-19-27-28-38-39-40-47-55-56-60.

علي بن يوسف – **ص**: 54.

القاضي أبي محمد – **ص**:57.

محمد بن أحمد بن محمد الخولاني - **ص**:33.

محمد بن خلف المعافري – **ص** : 28.

محمد بن داوود – **ص**:57.

المهدي بن تومرت - **ص**:6-7-26-27-43-54.

الناصر - **ص**: 7-8-9-21-39-50-56-59-63.

يحي بن رزق – **ص**:28.

يوسف بن تاشفين – **ص**: 17-21-25-27-61-62.

فهرس الأماكن والشعوب

اشبيلية – **ص**:8-56-58.

الأندلس – **ص**:6-8-9-12-14-15-16-17-21-28-30-35-40-43-49 - 54-56-60.

بجاية - **ص**:7-9.

براغوطة- **ص**:14.

البرانس – **ص**: 12-13.

بربر الأندلس- **ص**:14.

بلنيسة – **ص**:15.

بنو غانية – **ص**:9.

تامْسْنا- **ص**:32.

تينملل – **ص**:8-14.

تيهرت – **ص**:20.

زناتة – **ص**:15.

سبتة – **ص**:28.

سجلماسة – **ص**:20-30.

الصقالبة – **ص**:12-17-18.

صنهاجة – **ص**:13-14.

الصين – **ص**:18.

طرابلس – **ص**:7-20.

غرناطة – **ص**:8-20.

فآس – **ص**:15-17-41-61.

الفرنجة – **ص**:18-21.

قابس – **ص**:20-61.

القوط – **ص**:16.

القيروان – **ص**:15 -20-58.

كدالة- **ص**:13.

كومية – **ص**:15-16 -25.

كيدموية- **ص**:14.

لمتونة – **ص**:13.

لمطة – **ص**:13.

المرابطين – **ص**:6-18-13-15-25-26-34-38-43-49-54-55-57.

مراكش – **ص**:18-21-26-31-41-43-54-55-61-63.

مسراطة – **ص**:13.

مسوفة – **ص**:13.

المصامدة – **ص**:13-14-26-28-32-38-47.

المغرب – **ص**:6-7-8-12-13-14-16-20-25-27-29-30-34-38-41-44-54-58.

مكناسة – **ص**:20-32-61.

المهدية – **ص**:20-58-59.

موريتانيا الطنجية - **ص**:14.

نفيسة- **ص**:14.

هرغة- **ص**:14.

هسكورة – **ص**:15.

هنتاتة – **ص**:14.

وريكة- **ص**:14.

فهرس المحتويات

مقدمة.....أ - د

الفصل التمهيدي الأول:نبذة تاريخية عن الدولة الموحدية..6-10

1) مرحلة الدعوة والتأسيس.....06

2) مرحلة التطور والازدهار..... 08

3) مرحلة الانهيار والسقوط.....09

الفصل الثاني:العناصر المكونة للمجتمع.....12-22

1) البربر.....12

أ) صنهاجة 13

ب) المصامدة.....14

ج) بربر الأندلس.....14

2) العرب.....15

3) الأندلسيون.....16

4) عناصر مختلفة.....17

أ) الصقالبة.....17

ب) الاغزاز.....18

5) أهل الذمة.....19

ا) اليهود **20**

ب) النصارى.....**21**

الفصل الثالث :طبقات المجتمع.....25-35

1) الطبقة الحاكمة:.....25

أ) طبقة الطلبة.....26

ب) طبقة الفقهاء والعلماء.....27

2) الطبقة المتصوفة.....29

3) الطبقة العامة.....30

ا) التجار.....30

ب) الصناع 31

ج) الفلاحون.....,.....32

)د مهن مختلفة.....32

4) المرأة ودورها في المجتمع الموحدي.....34

الفصل الرابع:العادات والتقاليد.....38-50

1) الزواج وتكوين الأسرة.....38

2) العادات الجنائزية.....39

3) المجالس.....40

أ) مجلس الخلفاء.....40

ب)مجلس الوعظ.....41

ج) مجالس مختلفة.....41

4) الاحتفالات.....42

ا) احتفالات دينية.....42

ب) الاحتفالات العسكرية.....43

ج) احتفالات مختلفة.....44

5) اللباس.....46

الفصل الخامس: العمران في عهد الموحدين:....54-63

ا) المساجد.....54

ب) المدارس.....58

ج) الحمامات.....,.....61

د) الفنادق.....**62**

الخاتمة.....**67**

الملاحق.....**70**

المصادر والمراجع.....**79**

فهرس الأعلام.....**86**

فهرس الأماكن والشعوب.....**88**

فهرس المحتويات.....**91-94**